الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعة محمّد الصّدّيق بن يحيى – جيجل–

الرقم التسلسلي: .....

كلية الآداب واللغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

كتب إعراب القرآن بين القديم و الحديث

– دراسة مقارنة بين كتابي إعراب القرآن للنحّاس وإعراب القرآن وبيانه للدّرويش–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

- فطيمة لكحل
- فايزة يدوي

إشراف الأستاذ:

نجيب جحيش

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ/جمال بوسنون.....رئيسا
- الأستاذ/ نجيب جحيش.....مشرفا و مقررا
- الأستاذ/مختار قندوز.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1437 / 1438 هـ

2016 / 2017 م


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما

اللهم جنّبنا الغرور إذا نجحنا، ولا تمتحنّا باليأس إذا أخفقنا

وألهمنا أن نتوكّل عليك حقّ التّوكّل

فأنت نعم السند والمعتمَد

اللهم إذا وفّقتَنا لنجاح فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

اللهم متّعنا بنعمة الصحة و نعمة الإيمان

وعلّمنا، وأعنا على العمل بما علّمتنا

وارزقنا الإخلاص والتقوى.

آمين.

فطيمة/ فايزة.

شكر وتقدير

في البداية نشكر المولى عز وجل أَنْ أنار لنا درب العلم،

وأعاننا على إتمام بحثنا هذا

واعترافا بالفضل لأهله، وامتثالا لقول رسول الله" صلى الله عليه وسلم":

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

وقوله تعـالى:

"ولئن شكرتم لأزيدنكم"[سورة إبراهيم ، الآية: 07].

نتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ المشرف" نجيب جحيش " على مجهوداته التي بذلها في توجيهنا لإنجاز هذا البحث.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا وكل من أسدى إلينا يد العون من قريب أو من بعيد.

في إنجاز هذا العمل، كما نوجّه تحية ملؤها الأخوة إلى كل

الزملاء والزميلات في مسارنا الدراسي.

فطيمة/ فايزة.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي منّ على الإنسان بنعمة العقل، ودعاه بعد ذلك إلى إعماله في تدبّر آياته الكونية، الحمد له أن جعلنا من المسلمين، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين، ليكون للعالمين إماما ودليلا و بعد:

فمن سنن اختيار الله لرسله أن تكون رسالاتهم ومعجزاتهم موافقة لما برع فيه قومهم، حتّى اشتهروا به وصار صفة لصيقة بهم، كاحتراف قوم موسى السّحر ومعرفة قوم عيسى بالطّب، ولما كان العرب أهل فصاحة وبيان، فقد أنزل الله تعالى معجزة القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم، بلغة عربية في أرقى درجات الفصاحة، ما جعل من القرآن فيما بعد أوّل نصّ يحتج بآياته وسوره على الإطلاق، والعلوم اللغوية التي نشأت في مراحل لاحقة؛ إنّما نشأت في الأساس لتلبية حاجة دينية، هي صيانة القرآن من اللحن، وهداية الآخرين إلى تدبّر معانيه، عن طريق الشرح والتفسير والبيان والإعراب، والموضوع الذي يتمحور حوله هذا البحث مرتبط أشدّ الارتباط بالقرآن الكريم، وهو موسوم بعنوان "**كتب إعراب القرآن بين القديم والحديث دراسة مقارنة بين كتابي إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش** ".

ومن الأسباب التي حدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع عنوانا لمذكرتنا رغم تعدد الموضوعات في تخصص علوم اللسان مجال دراستنا:

-ارتباط الموضوع بالقرآن الكريم،ذلك أنّ شرف العلم من شرف المعلوم، حيث احتلّ حيزا واسعا ضمن بحوث العلماء المتخصصين إن في علوم القرآن أو في الدراسات النحوية، بغية الكشف عن معانيه ومراميه، والحثّ على تدبره وتأمله.

-القيمة العلمية التي يحتلها الإعراب -باعتباره حلية للكلام وزينة المتكلم- بين العلماء في نصوص العربية من جهة والقرآن الكريم من جهة أخرى.

-اقتفاء أثار علمائنا القدماء الذين سعوا ما وسعهم جهدهم إلى تفقه القرآن والكشف عن أسراره و غوامضه، وفهم أساليبه، تاركين لنا قبسا ينير لنا الطريق ويدلنا على سبل التفقه في علم الإعراب وإعراب القرآن.

-كون إعراب القرآن مفتاحا للعديد من العلوم، الشرعية منها واللغوية، إلى جانب الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والقرآن الكريم من جهة، وباقي العلوم من جهة أخرى.

– ولما كان الطلبة يظهرون نفورا واضحا من علم النحو والإعراب على وجه التحديد، زادت رغبتنا في ولوج مجال الإعراب مقترنا بالقرآن الكريم.

– الرغبة في الكشف عن العلاقة القائمة بين القرآن والدراسات النحوية العربية،فكان توجيه الأستاذ المشرف نتيجة لميلنا إلى هذا النوع من المواضيع.

وإذا كان القرآن الكريم قد أنزل مُعْرَبًا، ولا يمكن لأحد أن يشكك في هذه الحقيقة، وقواعد النحو إنّما هي اجتهادية من طرف النحاة منذ نهاية القرن الأول الهجري، فكيف إذن نتحدث عن إعراب نصّ يشهد له بنزوله معربا منذ البداية، وإذا كان الأمر كذلك **فما المقصود بإعراب القرآن الذي تدعو إليه العديد من الأحاديث النبوية الشريفة** ؟ وإذا كان النّص الذي يشتغل عليه معربو القرآن واحدا **بلسان واحد، فلماذا كانت أعاريبهم مختلفة ومتباينة.سواء في ذلك الكتب القديمة أم الحديثة، وما هي أوجه الاختلاف بين ما ألّف في إعراب القرآن قديما، وما أُلّف فيه حديثا؟**وإذا كانت المقارنة خير وسيلة للكشف عن أوجه الاختلاف والتشابه بين المؤلفات، **فما حظّ كتاب (إعراب القرآن) للنَّحَّاس و(إعراب القرآن وبيانه) للدَّرْوِيش من هذه الاختلافات والتشابهات التي تجلّيها المقارنة؟،وفيم عساهما يختلفان؟، إذا كان المورد الذي تستمد منه مثل هذه الكتب أعاريبها واحدا هو القرآن الكريم، وكذلك قواعد النحو شبه ثابتة لم يطرأ عليها تغيّر جذري يمسّ الجوهر منذ أن وضعها النحاة الأوائل؟.**

ولابدّ لكلّ بحث مهما صغر حجمه من منهج يلزم الباحث نفسه به، ليصل إلى نتائج توافق مقدماته، ومجمل ماأقرّه في بحثه، وإنّ طبيعة البحث هي التي تفرض عليك منهجا دون آخر،رغم تعدد مناهج البحث، وهذا البحث الذي اخترنا أن نخوضه، اعتمدنا فيه –تماشيا مع عنوانه، الذي هو دراسة مقارنة بين كتب إعراب القرآن قديما وحديثا–على منهجين من أكثر المناهج شيوعا بين الباحثين، وهما: المنهج الوصفي في الجانب النظري، حيث يغلب عليه الاعتماد على المراجع والبحوث السابقة، وبالتالي وجب تقصّي المعلومات كما وردت، ثمّ التعليق عليها أو شرحها إن كان إلى ذلك سبيل، أمّا المنهج الآخر المعتمد في هذا البحث هو المنهج المقارن، ويتجلى ذلك في الفصل التطبيقي، وما ذلك إلاّ لأنّنا نريد أن نكشف عن وجود فوارق بين كتب إعراب القرآن قديما وحديثا.

وقد حفل إعراب القرآن باهتمام العلماء على اختلاف توجهاتهم، فجاءت قضاياه مبثوثة في تضاعيف كتب التفسير وتوجيه القراءات، وكتب النحو، وكتب علوم القرآن، إضافة إلى إفراده بمؤلفات مستقلة منذ القديم وإلى غاية اليوم، لكّنها في مجملها تعنى بإعراب آيات القرآن الكريم دون أن تهتم بالجوانب التنظيرية، كالحديث عن نشأة إعراب القرآن، أو المراحل التي مرّ بها حتّى استوى ناضجا، وغير ذلك ممّا هو داخل ضمن هذا البحث في جانبه النظري، ولكن بعد البحث، تمكنّا من العثور على ثلاث دراسات سابقة، الأولى بعنوان (أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سورة المائدة)، من إعداد الطالب باسل عمر مصطفى المجايدة، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان عودة اللوح،قدمت بجامعة أم القرى، وقد اعتمد الباحث كما صرّح في مقدمة بحثه، على المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، وقد قسّم بحثه إلى مقدمة وتمهيد وقسم نظري وآخر تطبيقي، عالج فيه علاقة الإعراب بالتفسير والمفسّر، معرجا على نشأة إعراب القرآن وتطوره.

أمّا الدراسة الثانية فكانت عبارة عن محاضرات صادرة عن قسم اللغة والنحو والصرف، جامعة أم القرى، بعنوان (إعراب القرآن) من إعداد الأستاذة نبيهة بنت عبد الله باخشوين، تحدث هذا المقرّر عن إعراب القرآن من حيث النشأة والتطوّر، وأهم المؤلفات التي وضعت في هذا الحقل من البحث، مع دراسة بعض المواضيع التي لها صلة بإعراب القرآن الكريم، كالقراءات مثلا، في حين كانت الدراسة الثالثة بعنوان (أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية)، وهو بحث أعدّه الأستاذ عبد القادر بن عبد الرحمان السعدي، قسم بحثه إلى فصلين: الأول بعنوان تعريف الإعراب ونشأته وأهم أهدافه، أمّا الفصل الثاني فتناول حديثا عن صلة الإعراب بالعلوم الشرعية والعربية ولم يفصح عن المنهج المعتمد في بحثه.

أمّا جانب الاستفادة من هذه الدراسات فتمثل في كونها أطلعتنا على مصادر البحث التي استقينا منها مادته، ورغم كونها جميعا تتحدث عن الإعراب وإعراب القرآن وأمور أخرى أدرجناها في بحثنا ، لكنّنا اختلفنا عنها في طريقة العرض والتحليل، فضلا عن تصدّينا للمقارنة بين إعراب القرآن قديما و حديثا من خلال كتابين اخترناهما نموذجين للموازنة، إلى جانب أنّ هده الدراسات تتبنّت منهجا واحدا حتّى نهاية البحث، وحسب ما وقع بين أيدينا من مؤلفات، وما بلغه قصور اطلاعنا، فإنّ بحثنا أول بحث عالج إعراب القرآن وحاول المقارنة.

أمّا عن المصادر التي ارتكز عليها هذا البحث،واستقى منها مادته حتّى خرج في صورته هذه، فقد تنوعت بين القديم والحديث، ولم تقتصر على مصادر النحو، بل تعدّتها إلى كتب علوم القرآن، ولكنّنا سنقتصر على ذكر أهم الكتب التي كان لها حضور بارز في هذا البحث، ومن أهمّها:

(علم إعراب القرآن تأصيل وبيان) ليوسف خلف العيساوي، و: (النحو وكتب التفسير) لعبد الله إبراهيم رفيدة،و:(القرآن وأثره في الدراسات النحوية)لعبد العال سالم مكرم، و: (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي.

وتجلية لموضوع البحث وإشكالياته ارتأينا وضع خطة معالمها الأساسية ممثلة في: مقدمة ويليها مدخل تحدثنا فيه عن المصطلحات المفتاحية للموضوع، التي من شأنها أنّ تضيء جوانبه، ثم يعقبها فصلان الأول نظري عنوانه: إعراب القرآن أصالته ونشأته ونشاط التأليف فيه قديما وحديثا، يضم ثلاثة مباحث:

الأول بعنوان إعراب القرآن أصالته ونشأته :استهللناه بالتطرق إلى الحاجة إلى علم النحو بصفة عامة، ثمّ أتبعناه بمطلب ثانبعنوان: أصالة الإعراب في القرآن الكريم، عرضنا فيه الشبهات التي أثارها المستشرقون حول وجود الإعراب في القرآن،و المطلب الثالث:عالج المراحل التي مرّ بها إعراب القرآن الكريم حتّى صار فنّا مستقلا، أمّا الرابع: فذكرنا فيه الضوابط التي يجب على المعرب أن يلتزمها أثناء إعراب القرآن،و المبحث الثاني والذي عَنْوَنّاه بأهمية عراب القرآن وصلته ببعض العلوم الشرعية الأخرى، في حين عني المبحث الثالث بذكر أهم كتب إعراب القرآن قديما وحديثا.

أمّا الفصل الثاني فقد أفردناه للمقارنة بين كتابي (إعراب القرآن)لأبي جعفر النحّاس و(إعراب القرآن وبيانه) للدرويش، من حيث المنهج، والمصطلح والمادة، وكانت خاتمة البحث تلخيصا لأهم النتائج المتوصل إليها.

لا يخلو أي بحث مهما كان، من وجود بعض الصعوبات التي قد تقف عائقا أمام سير عملية البحث فيه، ومن جملة الصعوبات التي واجهت هذا البحث توزع مادته العلمية بين طيات كتب أخرى لا تنتمي إلى حقل البحث النحوي، بل تعدتها إلى كتب علوم القرآن و تجويده وتفسيره، ممّا شتّت جهد الباحث، فبدل البحث في كتب محددة تعنى بالدرس النحوي، صار لزاما علينا أن نفتش في فهارس ومقدمات كتب علوم القرآن.إضافة إلى غياب الكتب التنظيرية والدراسات السابقة في هذا الميدان.

وفي الأخير نحمد الله أن وفقنا إلى إتمام هذا البحث، شاكرين كلّ من أسهم في توجيهنا وإسداء النصح لنا ونخصّ بالذكر الأستاذ المشرف "جحيش نجيب" الذي أحاط بحثنا بجميل نصحه،كما ونشكر مسبقا اللجنة التي ستشرف على قراءة البحث وتشذيبه، وتصويب ما فيه من أخطاء وهنوات ونقائص.

والحمد لله الذي اختص بالكمال وحده، وتنزّه عن الخطإ والنقص.

مدخل

مدخل

جاء الإسلام وشبه الجزيرة العربية تعيش حالة من الفوضى والاضطراب، لا يُفرق أهلها بين العبد والمعبود،وكانت التجارة ركيزة نشاطاتهم، بالإضافة إلى قرض الشّعر الذي به يحفلون ويحتفلون، في مثل هذه الظروف نزل الوحي على خير خلق الله محمد، صلى الله عليه وسلم فصار للعرب نهج مستقيم وسمت يسلكون دروبه،إلى جانب كونه نصّا مقدسا يُتعبّد به تبوأ القرآن مكانة أسمى، تفوق بلاغة العرب متحديا بذلك فصحاء وجهابذة العرب.

ومنذ نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة حريصون على حفظ سلامته وإنزاله المكانة التي هو أهلٌ لها، فكان أن حفظوه في الصدور حتى إذا أُشكل عليهم أمر عادوا إلى النبيّ يسألون ويستفسرون ويستزيدون،ولكن بعد وفاة النبيّ وانتشار الفتوحات في الأقطار العربية وغير العربية،بدأ اللحن يتفشّى على الألسن جرّاء اختلاط العربي بغيره من العجم، وأزعج ذلك اللحن فصحاء العرب والمسلمين، ممّن لازالت العربية سليقة فيهم،خاصة وأنّهم لاحظوا انحرافا في هذا العلم هو النحو الذي قام في الأساس، ليُعرّف غير العربي طريقة الأداء السليم، والنطق الصائب للغة العربية، وبالتالي قراءة القرآن قراءة لا تجاوز الصواب، أو تنافيه ، وقد انطلق النحو انطلاقة مؤسسة في ظلال القرآن الكريم وتحت رايته.

وقد تعهد الله تعالى بحفظ كتابه من كلّ تحريف وتصحيف، مصداقا لقوله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[سورة الحجر،الآية:09].وبالتالي فالعلوم التي رافقت جوانبه المختلفة، من إعجاز و تفسير، و نحو، وغيرها، لا تزال باقية إلى اليوم؛ لأنّ منهلها القرآن الكريم، ذلك أنّ السبب الرئيس في وضعها كان خدمة هذا الكتاب العزيز وإنارة بعض جوانبه في كلّ مرة.

وحقيقتان لابدّ من التسليم بِهماالأولى:أنّ القرآن الكريم هو الدافع لوضع الكثير من العلوم اللغوية، أمّا الثانية:فهي اعتبار المصطلحات مفاتيح العلوم، لذلك ارتأينا أن نمهّد بجملة من المصطلحات والمفاهيم، التي شاع توظيفها في أوساط اللغويين والنحاة، وهي في الأساس عناصر مكونة لعنوان هذه المذكرة.

أولا :الإعراب :

تعددت تعريفات كلمة إعراب في المعاجم العربية ، على تداخلها وتشابهها،ممّا أدى إلى تعدد اصطلاحاته في كتب النحويين. وبالنظر إلى معجم لسان العرب" لابن منظور" باعتباره معجما تراثيا والمعجم الوسيط معجما حديثا، نجد أنّ معاني هذه الكلمة جاءت كالآتي :

قال ابن منظور في لسان العرب في الجذر "عرب" :« يقال:أعرب عن لسانه:أبان وأفصح ،وأعرب الرجل عن لسانه:بيّن عنه، ورجلٌ عربي اللسان:إذا كان فصيحا .وفي الحديث قوله صلى الله عليه سلم:"الثيّب تُعرب عن نفسها؛أي تُفصح.وتعرّب: تشبّه بالعرب. والإعراب:الفحش، و الإعرابةُ، والعرابة بالكسر والفتح :ما قبُح من الكلام .وفي تفسير قوله تعالى: "ولا رفث ولا فسوق ":هو العِرابة في كلام العرب ،وهو ما قبُح من الكلام »[1]، وجاء في المعجم الوسيط في الجذر "عرب": « أعرب فلانٌ:كان فصيحا في العربية،وإن لم يكن من العرب ،وأعرب الاسم الأعجمي : نطق به على منهاج العرب، وأعرب الكلام بيّنه، وأعرب عن حاجته: أبان وأفصح، أعرب البيع: أعطى العربون»[2].

وممّا سبق نجد: أنّ التعريفات المعجمية وإن تباينت في بعض النقاط، إلاّ أنّها تتقاطع في معنى مشترك للفظ الإعراب،هو الإبانة والإفصاح والإظهار، وإن وجد معنى مخالف يحمل معنى السلبية وهو الفحش والقبيح من الكلام.هذا عن المعنى المعجمي، أمّا بالنسبة للاصطلاح، فقد كثرت تعريفات الإعراب على كثرة النحّاة وتعدد توجهاتهم العلمية ومشاربهم الثقافية .

1- مفهوم الإعراب عند النحاة القدامى:

إنّ معيار السلامة في اللفظ واستقامة المعاني قديما،متوقف على مدى الالتزام بمعيار الفصاحة،والتي قوامها الإعراب الذي هو بمعنى إظهار غرض المتكلم وقصده من الكلام، وقد عني القدماء بظاهرة الإعراب فألفوا في ذلك العديد من المصنفات والكتب التي حوت بين طيّاتها هذه الظاهرة.

---

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي : لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د ط ، د ت ،ج1، مادة (عرب) ،ص589.

[2] مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط،مكتبة الشروق، القاهرة ،ط07 ،2011 ، مادة (عرب) ،ص612.

يعدّ تعريف "سيبويه "(148-180هـ)للإعراب من أقدم التعريفات وأنضجها، إذ يُورد في كتابه أنّ الإعراب هو:«الرفع والنصب والجرّ والجزم لحروف الإعراب وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة للأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين ...»[1]."فسيبويه "يحصر الإعراب في أربع حالات هي: الرفع والنصب والجرّ والجزم ،كما عدّ الحركات حروفا وخصّ هذه الحروف التي هي الحركات الإعرابية بالأسماء المتمكنة؛أي المعربة التي تظهر عليها العلامة إضافة إلى الأفعال المضارعة مستبعدا بذلك المبنية في الأسماء؛ لأنّ الحركات الإعرابية لا تظهر على آخرها،بل تلزم حالة واحدة في جميع المواقع الإعرابية.

يعرّفه " الزجّاجي" (ت337 هـ) في كتابه الإيضاح في علل النحو انطلاقا من الدور الذي تلعبه العلامة الإعرابية في إبراز المعاني فقال:« إنّ الأسماء لما كانت تعتوِرها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليها ، لم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني كانت مشتركة،جُعلت حركات الإعراب فيها تُنبئ عن هذه المعاني »[2].فالإعراب عند الزجّاج،على ما يبدو من قوله، خاص بالأسماء دون الأفعال، وإنّما جاء ليميّز المعاني بعضها من بعض عن طريق الحركات الإعرابية، التي تدخل الاسم فتجعلنا نقول أنّه فاعل أو مفعول به أو نحو ذلك من المواقع التي تحتلها الأسماء في الكلام، ذلك أنّ الحركات هي التي تُسهم في تخصيص المعاني وإبانتها.

وقد سلك" ابن جنّي" (320-392 هـ) الطريق نفسه حين عرّف الإعراب على أنّه:«الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيد أباه،وشكر سعيد أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر،الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه »[3].فابن جنّي يربط الإعراب في مفهومه الاصطلاحي بمفهومه اللغوي له، والمتمثل في كونه إبانة وإفصاحا إلى جانب ذلك ربْطُه بين اللفظ والمعنى؛ إذ لا يتحقق قصد المتكلم وغرضه من الكلام إلاّ به، وما تقديمه للمعنى على اللفظ إلاّ لأنّه يوليه أهمية كبرى ويُلزم المتكلم بإعراب ألفاظه حتى يُبين عن مراميه.

---

[1] أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه:الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط03 ،1977 ،ج1 ،ص13.

[2] الزجاجي :الإيضاح في علل النحو ،تح مازن المبارك ،دار النفائس ،بيروت ،ط03 ،1989 ،ص69 .

[3] أبو الفتح عثمان بن جنّي: الخصائص،تح محمد علي النجّار، المكتبة العلمية،مصر، دط، دت،ج1،ص35.

وقد تطرق"الصّيمريّ (ت541هـ) إلى ظاهرة الإعراب في كتابه (التبصرة والتذكرة في النحو)، حيث عرّفه على أنّه «تغيّر آخر الكلمة بعامل، نحو جاء زيدٌ ورأيت زيداً ومررت بزيدٍ، فتغيّر آخر زيد بالعوامل التي قبله هو الإعراب.»[1]فالإعراب يتجسد من خلال التأثير الذي يمارسه العامل على الألفاظ، فيجعلها مرفوعة أو منصوبة أو مجزومة أو مجرورة تبعا لوظيفة ذلك العامل، وبهذا يكون الإعراب نفسه الحركات الناتجة عن دخول العوامل.

ويُورد "الزمخشري" (467-538هـ) تعريفا مشابها للتعريف السابق، حيث يقول إنّ الإعراب هو: « اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا ومعنى، واختلاف الآخر، إمّا بالحركات نحو: جاءني زيدٌ، ورأيت زيداً، ومررت بزيدٍ، و أمّا بالحروف، وذلك في الأسماء الستّة »[2].

الواضح من استقراء مضامين المفهوم الاصطلاحي للإعراب في التعريفات السابق ذكرها، أنّ العلماء والنحاة لم يختلفوا كثيرا في مفهومه، واتفاقهم هذا مردّه إلى أن الإعراب إلى ذلك الحين،كان واضحا في أذهانهم لا يشوبه اللبس والغموض؛ فهُم فصحاء سمعوا عن الأقحاح من العرب، وما لجوؤهم إلى عملية انتقاء القبائل الأكثر فصاحة بغية الاحتجاج بكلامهم، إلاّ لأنّهم انطلقوا من قاعدة مُفادها؛ أنّ العربيّ متى عجز عن الإبانة عن المعاني المستقرة في ذهنه بألفاظ توافقها، وتحقق عملية الفهم والإفهام، فقَد كلامه ميزة الفصاحة والبيان، وكلّ الروايات التي حدثتنا عن سبب وجود الإعراب هو اللحن، تؤكد لنا أنّ العربي إذ ذاك لم يكن لحنه في الإتيان بألفاظ أعجمية،أو لأنّه قوّض بناء كلمة ما حيث جعل أولها آخرها وجعل آخرها أولا، ولكن كل الروايات تعزو اللحن إلى ضبط آخر الكلمة بحركتها المناسبة، وهذا الخطأ من شأنه أن يجعل السامع يفهم غير الذي يريده المتكلم، ولنا تفصيل في مسألة اللحن في المراحل اللاحقة.

وإذا كان الإعراب عند القدماء واضح المعالم متّفقا عليه بينهم، فإنّ الأمر لم يبق على حاله مع المحدثين الذين عجزوا في واقع الأمر عن استيعاب ما أراده سالفوهم، فانحرفوا بالإعراب إلى مظان أخر وإن كانت تعريفاتهم ترتكز على ما قال به القدماء.

[1]الصّيمري : التبصرة والتذكرة في النحو ، تح: فتحي مصطفى علي ، دار الفكر ، دمشق ،ط01 ، 1982م، ج1 ، ص76.
[2]أبو القاسم محمود الزمخشري : الأنموذج في النحو ، د دار النشر ، ط01 ، 1999 م، ص 16.

2- مفهوم الإعراب عند العرب المحدثين:

لقد تباينت مواقف المحدثين من قضية الإعراب وجاءت مفاهيمهم عنه مختلفة تبعا لاختلاف تصوراتهم و منطلقاتهم الفكرية، فلم يعد موضوع الإعراب واضحا كما كان عند القدماء، والسبب في ذلك هو ثورة بعض المحدثين على نحو القدماء، وسعيهم لوضع قوالب جديدة للنحو العربي وفق ما عرف بتيسير النحو.

فهذا "إبراهيم مصطفى" في كتابه إحياء النحو، يكشف عن نظرة جديدة للإعراب قائمة على الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل، ويقول في تعريفه للإعراب «فالإعراب الضمّة والكسرة فقط، وليستا بقية لمقطع ولا أثرا لعامل من اللفظ؛ بل هما من عمل المتكلم ليدل بِهما على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام»[1] حيث يرى"إبراهيم مصطفى" أنّ الإعراب هو الحركات ممثلة في الضمّة التي تعمل الرفع، والكسرة الدالة على الإضافة، في حين يستثني الفتحة ولا يعتبرها إلاّ علامة خفيفة مستحبة، ويبدو من تعريفه هذا أنّه يقف موقف الإنكار من قضية العامل النحوي وينسب خلق الحركات وتغييرها إلى سلطة المتكلم، حيث تكون نابعة من مقصده ومراده أثناء الكلام.

وموقف" إبراهيم مصطفى"قابل للنقاش من عدة جوانب؛ أولها أنّه قصر ظاهرة الإعراب على حركتي الضمّة والكسرة، اللتين حملهما مهمة الكشف عن المعاني التي تعتور ذهن المتكلم، ونسي أنّ الفتحة مرتبطة بالمنصوبات التي هي فضلة، تعبّر كذلك عن المعاني المختلفة، فلا مبرّر إذن لإلغائها، وأمّا النقطة الثانية التي تؤخذ على" إبراهيم مصطفى "أنه نسب مهمة تغيير أواخر الكلم إلى المتكلم مُنكرًا بذلك العامل، ولكنّه غاب عن ذهنه أنّ المتكلم لا يملك سلطة الخروج عن سلطان اللغة ليغيّر في نظام الحركات كيف شاء، وهذا أمر مستحيل ومستبعد، ولنفرض مثلا أنّه وضع حركة مكان حركة ولو من قبيل الخطأ، فإنّ السليقة اللغوية السليمة للمتلقي سوف تُسائله عن سرّ هذا التغيير وتقدح في فصاحته، ولو كان أمر الإعراب فعلا بيد المتكلم لما كان لدينا نحو ولا إعراب واللذان كانت بذورهما الأولى ناتجة عن النفور من اللحن والخطأ في ضبط أواخر الكلمات، جرّاء الفتوح الإسلامية بفعل الاختلاط بالأعاجم.

[1] إبراهيم مصطفى :إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2014م، ص50 .

وإذا كان"إبراهيم مصطفى"يحاول إنكار دور العامل في قضية الإعراب، فقد ذهب "إبراهيم "أنيس" إلى أبعد من ذلك محاولا إحياء دعاوي" قطرب"، القائمة على إنكار الحركات الإعرابية والتي تفيد أنّ الحركات كانت حدثا عارضا في الكلام جاءت للتخفيف في النطق، حيث يقول قطرب:« إنما أعربت العرب كلامها؛ لأنّ الكلام في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، فكانوا يُبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام؛ ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة »[1].وقد كان" قطرب" الوحيد من النحاة القدماء في أنه سعى إلى إنكار أصالة حركات الإعراب، معتبرا أنّ الأصل في الكلام الإسكان، وأنّ التحريك ناتج عن وصل الكلام لا أكثر، وفي العصر الحديث نجد" إبراهيم أنيس "في كتابه (من أسرار اللغة) يقف الموقف نفسه قائلا :«فليست حركات الإعراب في رأيي عنصرا من عناصر البنية في الكلمات، وليست دلائل على المعاني كما يظن النحاة، بل إن الأصل في كل كلمة هو سكون آخرها سواء في هذا ما يسمى بالمبني أو المعرب؛إذ يوقف على كليهما بالسكون وتبقى مع هذا واضحة الصيغة لم يفقد من معانيها شيئا »[2].

فموقف إبراهيم أنيس لا يعدو أن يكون تكرارا لرأي قطرب، وأنّه يقتضي القول بأنّ أصل الكلام سكونه إلى أن يوصل فيعوّض السكون بحركة لتخفيف الكلام، فالإعراب في نظره ما هو إلاّ حالة طارئة على الكلام، تختفي عند الوقف، و أنّها لا تعبّر عن المعاني المختلفة، «أمّا الذي يحدد الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك من المعاني التي عرض لها أصحاب الإعراب فمرجعه أمران؛ أولهما نظام الجملة العربية والموضع الخاص لكل من هذه المعاني اللغوية في الجمل، وثانيهما ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات »[3].ومقصد إبراهيم أنيس من كلامه هذا؛ أنّ الحركات لا تؤدي وظيفة الكشف عن العلاقات والمعاني اللغوية، والتعبير عنها ،كالفاعلية و المفعولية، لأن النظام اللغوي للعربية يقتضي أن ترِد المعاني وفق قانون معين لا دخل للحركات فيه، أضف إلى

[1] جلال الدين السيوطي :الأشباه والنظائر في النحو ، تح : عبد الإله نبهان ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دط ،1987، ج1، ص 79 .

[2] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط06 ، 1978 ، ص 242 .

[3] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ،ص 243.

ذلك أنّ المعاني المختلفة نابعة من صميم المواقف التي تحيط بالكلام عند إنتاجه لأنّ المعاني هي التي تصنع هذه الحركات.

لكن لو لم يكن للحركات الإعرابية كل هذه القيمة في النهوض بمعاني الإعراب، ما عني بها القدماء كلّ هذه العناية، وهم الأدرى بمكمن الفصاحة وسرّ البلاغة، إضافة إلى أنّ المتكلم لا يملك حرية التحريك أو التسكين كما يشاء، إنّما هناك قواعد لابّد أن تراعى أثناء الكلام، ليحكم عليها بالإفصاح عمّا في النّفس والإبانة والسلامة في التركيب، ولو كان ذلك فعلا في يد المتكلم لجاز له التحريك متى شاء، والتسكين كيفما شاء، وحينها ستفقد العربية الكثير من رونقها، الذي يضمنه الإعراب بالحركات، وهذا ما نلحظه في واقعنا اللغوي اليوم؛ إذ صارت كل النهايات سكونا مستقبحا؛ لأنّه لم يرد في موقعه الصحيح، وعلى ما يبدو فإنّ إبراهيم أنيس هو الوحيد من المحدثين، الذي أنكر أصالة الإعراب في اللغة العربية، وانتقص من قيمة الحركات الإعرابية، جاعلا السكون أصل الكلام، وقد انبرى للردّ عليه لغويون كثر أمثال" رمضان عبد التوّاب "الذي أكّد قدم الإعراب في العربية جاعلا وظيفة الحركات الإعرابية هي النهوض بالمعاني في قوله:« إنّ الإعراب في العربية كما يقول النحاة العرب يدل على الفاعلية والمفعولية وغيرها، ولم يكن حركات وصل بين الكلمات كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس »[1].

ويواصل "رمضان عبد التوّاب" مستطردا في الرّدّ على"إبراهيم أنيس" بمجموعة من الأدلة التي تؤّيد فكرة أصالة الإعراب في العربية منذ القديم، ومن بين الأدلة التي ساقها: أنّ الإعراب ظاهرة أصيلة في اللغات السامية القديمةوالتي من بينها اللغة العربية كذلك فإنّ القرآن الكريم وصلنا معربا عن طريق الرواية المتواترة، ولو كانت الحركات فيه مجرّد آلة مساعدة على وصل الكلام، لما استدعت الضرورة نقله إلينا متواترا كما نزل، ولا ننسى أنّ الرسم العثماني يؤّكد وجود الإعراب في العربية، وأنّه ليس من وضع النحاة[2].

في حين يذهب "تمّام حسّان "في تفسيره لظاهرة الإعراب ودور العلامة الإعرابية في تفسير المعنى، حيث يرى أنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تساعد على تعيين المعنى، مشيرا إلى أنّه لا قيمة لها دون النظر إليها في

[1] رمضان عبد التوّاب : فصول في فقه اللغة العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط06 ، 1999 ، ص 282 .

[2] ينظر: رمضان عبد التوّاب، فصول في فقه اللغة العربية، ص، 373 -374 .

إطار ما سمّاه بتضافر القرائن، والتي تعد ظاهرة الإعراب إحداها، ومثّل لذلك بالفاعل؛ فهو لا يعرف عنده بالرفع فقط، وإنّما يعرف به و بالإضافة و التأخر عن الفعل وبناء الفعل للمعلوموما يصحب ذلك من قرينة معنوية تساعد في تحديد دلالته، وبهذا فتمام حسّان –من خلال نظرته هذه – لا يعطي العلامة الإعرابية وحدها الدّور الفاعل في تعيين الدلالات والمعاني[1] .

ويمكن تلخيص موقف كل من النحاة القدامى والمحدثين والذي أسفر عن ظهور مذهبين؛ الأول يربط الإعراب بالمعنى؛ أي أنه يرى أن للإعراب دخلا كبيرا في تأدية المعنى، وهذا مذهب النحاة القدماء ماعدا قطربا منهم وإبراهيم أنيس من المحدثين، اللذين لم يعترفا بوجود الإعراب وعدّاه حدثا عارضا في اللغة . والفريق الثاني يحصر الإعراب في العلامة الإعرابية أي الأثر الظاهر على أواخر الكلم.

3– مفهوم الإعراب عند الأصوليين

نظرا لأهمية المعرفة الدقيقة بقواعد اللغة العربية في تحليل النصوص، من أجل استنباط الأحكام الشرعية، فقد أولى الأصوليون عناية كبيرة بعلوم العربية، وعلى رأسها النحو؛ لما له من أثر بالغ في فهم ظاهر النّص وتأويله إلاّ أنّ مفهومه عند الأصوليين يختلف عنه عند النحاة، ذلك أنّ اهتمامهم كان منصبا على المعنى الذي يخدم تأويلهم وتحليلهم للنصوص، في حين عُني النحاة بكل ما يخص إعراب أجزاء الكلام.

وقد تناقلت كتب الأصوليين تعريفات واضحة ومبسطة لمفهوم النحو من منظور الأصولي، حيث يعرّفه "ابن حزم "(ت 456هـ)في كتابه (الإحكام):« بأنّه ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن و به يفهم معاني الكلام التي يعبّر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ »[2]؛ فالنحو عندهم وسيلة مساعدة للكشف عن الغاية القصوى لديهم، والتي هي معنى الكلام ومقصده، فهُم «لا ينظرون إلى ظاهر الإعراب ويغفلون المعنى الذي يقع عليه الإعراب، ليكونوا قد ميّزوا، فيما يجيزونه أو يمتنعون منه، صواب الكلام من خطئه »[3]، فصواب الحكم من ضعفه وغلطه متوقف على مدى السلامة في الأداء، وتركيب كلمات القرآن قصد تحقيق الفهم والمراد

[1] ينظر : تمّام حسّان ، اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، 1994 ، ص 190 .

[2] أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي :الإحكام في أصول الأحكام ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الأفاق الجديدة ،بيروت ، ط2، 1983 ،ص 25.

[3] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين ،دار الهجرة ، إيران ، ط2، 1405هـ ، ص 29.

من النص، ذلك أنّ بحث الأصوليين في هذا الموضع ليس بحثا عن الإعراب الذي هو اختلاف أواخر الكلم ،وإنّما هو بحث عن دلالة الجملة العربية في أساليب الاستثناء، والشرط والتوكيد والوصل ...وأمثال ذلك ممّا لا علاقة له بتغيّر أواخر الكلم»[1].

وقد استثمر الأصوليون نتائج البحث النحوي وجعلوا النحو جزءا من كلٍّ هو التفسير، وتركيزهم على المعنى والدلالة فيه، يحيلنا إلى نظرة القدماء من النحاة إلى الإعراب على أنّه: الإبانة والإفصاح عن المراد من الكلام والتي تعد نقطة لقاء وتقاطع لكلا العلمين (النحو وعلم الأصول)، وبحكم أنّ ميدان بحث الأصوليين هو الاشتغال على النصوص، واستخراج أدلة الأحكام الشرعية والفقهية منها، فقد استطاعوا أن يستغلوا القواعد النحوية بأن وجّهوها توجيها دلاليا وبلاغيا، ذلك أنّ معرفة المواقع الإعرابية أو أواخر الكلم ليست الغاية التي ينشدها الأصوليون خاصة وهم أمام نص قرآني في منتهى البيان والبلاغة، وكل هذا يتطلب استحضار كل الوسائل والفنون اللغوية، التي من بينها النحو، لاكتناه هذه البلاغة وما تنبئ عنه من أحكام.

ثانيا:مفهوم القرآن:

من أعظم الكتب السماوية التي شغلت العلماء والباحثين تبيينا وبلاغة وتركيبا ، فتناولوه في أبحاثهم تنقيبا وتفتيشا،واختلفوا فيما بينهم في اشتقاقه وجذره الثلاثي، فقد جاء في معنى القرآن في لسان العرب في مادة "قرأ "« يقرأ قراءة وقرآنا،وسمّي قرآنا لأنه يجمع السّور فيضمها،وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿17﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[سورة القيامة ، الآية :16-17] ؛ أي قراءته، وقرأ عليكِ السلام ويقرؤه إيّاه: أبلغه وفي الحديث: "إنّ الله يقرؤكِ السّلام »[2].

[1] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين، ص 30 .

[2] ابن منظور :لسان العرب ، ج 1، ص 138.

كما ورد في المعجم الوسيط معنى الجذر" قرأ "على النحو الآتي:« قرأ الكتاب : قراءة وقرآنا:تتبّع كلماته نظرا أو نطقا، قرأ الآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ، فهو قارئ (ج) قرّاء، وقرأ الشيء قرءا وقرآنا :جمعه و ضمّه»[1].

أمّا المعنى الاصطلاحي للقرآن فهو عند " أبي حامد الغزالي "في كتابه (المستصفى) مبيّنٌ بقوله : « أمّا حدّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفتّي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا »[(2)].والمقصود بالكتاب هنا هو القرآن الكريم وهذا أحد أسمائه.

ويعطي الدكتور مناع القطّان تعريفا آخر للقرآن الكريم بقوله:« هو كلام الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبّد بتلاوته »[3] .

يظهر أنّ التعريفات المعجمية اتّفقت على معنى واحد للقرآن الكريم وهو : الجمع والضمّ.وهذا المفهوم هو الذي انتقل إلى المعنى الاصطلاحي؛ حيث دلّ عند العلماء وأهل الاختصاص على أنّ القرآن إنّما سمّي قرآنا؛ لأنّه جمع في كتاب واحد ضُمّت آياته لتُشكّل السّور، وجمعت سوره لتُشكّل المصحف، ورغم ذلك نلحظ بعض التفاوت والتّغاير في تعريف القرآن اصطلاحا،وهذا راجع في الأساس إلى طبيعة توجهات العلماء ومشاربهم المذهبية والفكرية، فتعريف الغزالي يرتكز على بعض الخصائص الموجودة في القرآن الكريم والمتمثلة في قضية الأحرف السبعة بالإضافة إلى تطرقه إلى قضية تواتره، في حين يضيف صاحب كتاب(مباحث في علوم القرآن) خاصية التعبّد به وبتلاوته.

ويمكن أن نجمل تعريفا شاملا للقرآن هو :«كلام الله تعالى العربي، المعجز المنزل بواسطة أمين الوحي جبريل، عليه السّلام، على رسول الله محمد بأحرفه السبعة لفظا ومعنى، المحفوظ في الصدور، المكتوب في

[1] مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ص 847 .

[2] أبو حامد الغزالي : المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية ، المدينة المنورة ، دط، دتا ، ج2، ص09 .

[3] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، دط 1995م، ص16.

المصاحف برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءاته المتعددة والمنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، والمفتتح بسورة الحمد والمختتم بسورة الناس »[1].

فهذا التعريف كما أشرنا شامل استوفى كل ما في القرآن من خصائص ومميزات ممّا لا يشتبه به مع غيره من الكتب، سواء في ذلك الكتب السماوية الأخرى، أوكتب الحديث النبوي المجموعة،وغير ذلك ممّا ألف على تطاول الأزمنة والآماد.

ثالثا :إعراب القرآن:

يعدّ الإعراب من العلوم اللغوية التي رافقت القرآن الكريم ، وسارت معه جنبا إلى جنب، خدمة لكتاب الله تعالى وكشف كنه الآيات ومعانيها، وقد اقترن الإعراب- باختلاف معانيه التي سبقت الإشارة إليها- بالقرآن الكريم، حتى ظهرت كتب وتآليف مستقلة عنونت باسم (إعراب القرآن الكريم).

وبالنظر إلى هذا المركب الإضافي المكون من كلمتين؛ هما الإعراب والذي تتبعنا معناه اللغوي، وانتقاله منه إلى المعنى الاصطلاحي.أمّا الثانية فهي كلمة القرآن المتمثّل، في كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ،صلى الله عليه وسلم، فارتباط الإعراب وصلته الوثيقة بالقرآن الكريم جعلت من آياته وسوره المادة الأولية، التي اشتغل عليها المعربون، واعتبروه أعلى حجة يحتج بها في إرساء قواعد النحو، وقد تعهّد الله بحفظ كتابه وسخّر لذلك علماء أجلاّء سعوا لاستخراج أحكامه، وفهم معانيه وتطويع القواعد النحوية له، ولولا قيمة الإعراب وأهميته ما جاء الحث على تعلّمه، في العديد من الآثار والأحاديث النبوية الشريفة التي نذكر منها[2]:

"أعربوا القرآن ،والتمسوا غرائبه ".

"أعربوا القرآن ، كي تعربوا الكلام ".

"أعربوا القرآن، فإنّه عربي، وتفقهوا في السنّة ".

---

[1] عبد الحليم قابة :القراءات القرآنية ، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط 1، 1999م ، ص22 .

[2] محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها علىالأمة ، مكتبة المعارف ، الرياض، ط 1، 1993، ج 3، ص 522.

وقد اختلف العلماء حول حقيقة الإعراب الوارد في الأحاديث السابقة، هل هو المعنى اللغوي المتعارف عليه بين النحاة والذي يقصد به الإبانة والإفصاح والتفسير، أم أنّه المعنى الاصطلاحي الذي يفيد تحديد المواقع الإعرابية ووظائفها النحوية كلمة بكلمة؟

لقد وقف صاحب كتاب (القرآن وأثره في الدراسات النحوية) عبد العال سالم مكرم موقف المعارض من أن يكون معنى الإعراب الوارد في الأحاديث، بمعنى الإعراب النحوي، معللا ذلك تعليلا تاريخيا؛ بأنّ «هذه الأحاديث لا تتجه إلى هذا المعنى لأنّ مدلول الإعراب هذا لم يظهر إلا في زمن متأخر عن عصر الرسول صلى الله عليه وسلموأنّ المراد بالإعراب الإبانة والتوضيح وفهم الغريب »[1].وهكذا يكون قد اتّكأ على المعنى اللغوي للإعراب في تفسير دلالة الإعراب الوارد في الأحاديث السابقة، والذي هو الإبانة وتوضيح ما غمض والتبس من معاني القرآن الكريم وألفاظه فيما عرف ووصف بالغريب (غريب القرآن) .

وإلى ذلك ذهب "مصطفى صادق الرافعي"في كتابه (إعجاز القرآن) حين يقول أنّ:« الصحابة رضي الله عنهم،يسمّون فهم الغريب بإعراب القرآن الكريم لأنّهم يستبينون معانيه ويخلصونها »[2]، خاصة وأنّ مصطلح الغريب جاء مقترنا بإعراب القرآن، في العديد من الآثار من قبيل (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه...). فيكون الإعراب هنا، متعلقا بالإبانة عن معاني الألفاظ التي تبدو غامضة للناس، فتتضح بالشرح والتعليل وتفسير معانيها، ويضيف الرافعي أنّ من ذهب إلى غير هذا الرأي، من الذين يرون أن الإعراب ضد اللحن، إنما يتخذ منه مدخلا إلى الطعن في القرآن الكريم، وأنّه مذهب « طائفة من أبناء الطيالسة (*) وطائفة من قومنا الذين في قلوبهم مرض من أنّ اللحن، أي الزيغ عن الإعراب،كان يقع من الصحابة في القرآن الكريم، ضلة من القائلين وذهابا إلى معنى الإعراب النحوي »[3]، المتردد في كتب النحو، فالإعراب–حسب قوله– أيضا هو ضد اللحن ونقيضه، ولهذا رفض أن يكون اللحن قد وقع من الصحابة، رضي الله عنهم، ويخص بالذكر العرب الأقحاح

[1] عبد العال سالم مكرم : القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط 2، 1978، ص،269.

[2] مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 09 ، 1973 ، ص 75 .

[3] المرجع نفسه، ص 76.

(*) الطيالسة : هو لقب يطلق على الأعاجم.

منهم «فالسليقة اللغوية كانت متوفرة لدى العرب، فيكفيهم التلقي ومعرفة وجه الآية ليقرؤها سليمة، ولكنّ غير العرب الفصحاء لابّد لهم من المعاناة لإتقان القراءة والمحافظة على الإعراب بعد اللحن »[1].

تأسيسا على رؤية الرافعي هذه، يمكن القول إن حض النبي على معرفة إعراب القرآن موجه إلى الفصحاء من العرب، وبذلك يكون معناه معرفة معانيه وغريبه، لا اجتناب اللحن في التلفظ بأواخره الذي أصبح الإعراب يعنيه في الزمان المتأخر، والمرتبط بالنحو وضبط أواخر الكلم.

وقد فسّر "المناوي" في (فيض القدير) الإعراب الوارد في الأحاديث السابقة بقوله: « إعراب القرآن معرفة ما فيه، من بدائع العربية ودقائقها، وأسرارها، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة؛ لأنّ القراءة مع اللحن ليست قراءة ولا ثواب فيها »[2].

فإعراب القرآن من معانيه أيضا، تجنب اللحن والسّقط في الكلام ليستقيم بذلك المعنى، إضافة إلى معرفة طرق العرب في تأليف الكلام، وأساليبها في النظم ذلك؛ لأنّ القرآن نزل بلسان العرب؛ وقد حاول إبراهيم رفيدة أن يضع النقاط على الحروف في فهم ظاهرة إعراب القرآن، من خلال التدرج في تفسيرها من المعنى اللغوي الذي لا يخرج عن كونه البيان والفصاحة، ويؤكّد على أنّ الإعراب الذي جاءت الأحاديث بالحض على تعلمه إنّما هو : « صحة تلاوة القرآن الكريم، وإتقان النطق بكلماته وأداؤها أداء صحيحا سليما، ليتحقق بذلك معنى الإبانة والإفصاح، وتتحقق مثوبة التلاوة بما أن القرآن الكريم متعبَّدٌ بتلاوته.

إنّ الملاحظ على التعريف السابق لإعراب القرآن أنّه يشتمل على عدة أمور،كالنطق الصحيح والسليم،من خلال الإتيان بالحرف من مخرجه الأصلي وغيرها من قوانين القراءة وأحكامها التي تنص عليها كتب الترتيل وتجويد القران بما في ذلك الخواص الصوتية للحروف، كل ذلك بالإضافة إلى الإعراب كمصطلح نحوي، يعني فيما يعنيه مراعاة أحوال أواخر الكلم، ذلك أنّ هذه العناصر هي التي تحقق الفصاحة والبيان للكتاب العربي المبين.

---

[1] إبراهيم رفيدة : النحو وكتب التفسير ، دار الجماهيرية ، بنغازي ، ط 3 ، 1990 ، ص 98.

[2] عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1972م، ج 1، ص 558 .

ويُثمّن هذا الرأي ما ذهب إليه "محمد نظام الدين الفتيّح" من خلال تحقيقه لكتاب (الفريد في إعراب القرآن المجيد) " للمنتجب الهمذاني (ت643هـ)" إذ يشير إلى أنّ إعراب القرآن عند القدامى يختلف عنه عند المحدثين بقوله:« إعراب القرآن عند القدامى يتعدى كونه تبيانا لإعراب الكلمات من حيث مواقعها النحوية، وضبط أواخرها على ذلك، يتعدى كون هذه الكلمة مبتدأ، أو تلك خبرا، أو كون هذا فاعلا وذاك مفعولا به، يتعدى كل ذلك إلى ذكر معاني الألفاظ، ووجوه تصريفها،ولغاتها،وما ورد فيها من قراءات ...»[1].

من خلال هذا القول وما سبقه، يتضح لنا أنّ إعراب القرآن عند القدامى يتجاوز مجرد إعطاء الوظيفة النحوية للكلمات القرآنية، إلى الخوض في معاني هذه الألفاظ وأسرارها، وما حوته من قضايا بيانية، وصرفية، وصوتية ؛ أي أنّ معرب القرآن يهتم بكل ما يحيط باللفظة القرآنية، في سبيل إبراز مقصد الخطاب القرآن، ولعل من أوضح التعاريف المبينة لموضوع إعراب القرآن تعريف"الحليمي" المتوفّى (403هـ)،الذي استطاع فيه أن يوفي مفهوم إعراب القرآن الكريم، حيث جعله يشتمل على عنصرين رئيسين: أحدهما «أن يحافظ [القارئ] على الحركات التي بها يتميّز لسان العرب عن لسان العجم؛ لأنّ أكثر لسان العجم مبني على السكون وصلا وقطعا، ولا يميّز الفاعل من المفعول باختلاف وحركات المقاطع، والآخر :أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيء منها بغيره لأنّ ذلك ربّما أوقع في اللحن أو غيّر المعنى »[2].

وهذا هو التعريف الذي تبنّاه المحدثون في كتبهم المؤلفة في إعراب القرآن والتي اهتموا فيها برصد اختلاف إعراب الكلمات، وتغيّر أواخرها تبعا للعوامل الداخلة عليها، وبهذا يكون إعراب القرآن قد انتقل من معناه التقليدي التراثي الدال على الإبانة والإفصاح، إلى معناه الاصطلاحي المتردد في أقوال النحاة وكتبهم؛ أي ما هو متعارف عليه كمصطلح نحوي بحت، فيكون إعراب القرآن وسيلة إلى تحقيق المعنى الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي سبق ذكرها، وهذا ما سيتبيّن بشكل أوضح في المراحل اللاحقة من هذا البحث.

---

[1] المنتجب الهمذاني: الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تح : محمد نظام الدين الفتيّح ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط 1، 2006، ج 1، ص 23 .

[2] أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي : المنهاج في شعب الإيمان ، تح : حلمي محمد فودة ، دار الفكر،بيروت، لبنان ، ط 1، 1979م ، ج2، ص 237.

الفصل الأول: إعراب القرآن أصالته ونشأته ونشاط التأليف فيه

- إعراب القرآن أصالته ونشأته
- أهمية الإعراب وصلته ببعض العلوم الشرعية
- المؤلفات في إعراب القرآن

المبحث الأول:إعراب القرآن أصالته ونشأته:

أوّلا :الحاجة إلى علم النحو:

منذ نزول الوحي على الرسول الكريم والمسلمون حريصون كلّ الحرص على نشر الإسلام في بقاع الأرض، وتمثيل الإسلام في أحسن صورة وهم في ذلك، يستشرون الرسول ويسألونه عمّا غمض، ويرجعون إلى ديوان العرب وكلام فصحائهم ليعرفوا معاني الكلمات في القرآن، ولكن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشار الفتوح الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا عربا وغير عرب، انتشر اللحن في أوساط الناس نتيجة البعد عن منابع الفصاحة العربية، واختلاط لغة الفاتحين التي هي العربية بلغات الأقوام الداخلين في الإسلام، فخاف علماء اللغة على سلامة اللسان العربي المبين، وعلى سلامة القرآن الكريم، فهرعوا إلى وضع قواعد تعصم اللسان والقلم من الخطأ، وتصون لغة العرب لغة التنزيل العزيز من التحريف والتبديل، ولا يهمّنا هاهنا الخوض في أوليات النحو، ولا التساؤل عمّن يكون الواضع الأول للنحو؛ وذلك لأنّ كتب التراجم، وكتب طبقات النحويين تعجّ بمثل هذا النقاش[1]، الذي لا يعنينا في هذا المقام تفصيل القول فيه، إذ ليس يهمنا الواضع الحقيقي للنحو بقدر ما يعنينا إدراك حقيقة مفادها؛ أنّ التفكير فيوضع قواعده كان نتيجة لعوامل متداخلة منها الديني وغير الديني، «أمّا البواعث الدينية، فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما، إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة خاصة، بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة»[2]، ولولا بلوغ اللحن مرتبة قصوى في الخطورة كونه سببا في تحريف المعاني القرآنية، وفهمها على غير حقيقتها، هو ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اعتبره ضربا من ضروب الضلال في قوله عن الرجل الذي أخطأ في حضرته في قراءة القرآن :« أرشدوا أخاكم فقد ضلّ »[3]، وما هذا النعت إلاّ لأنّ الرسول الكريم يدرك أنّ المخطئ في اللغة قد يخطئ في قراءة كلمات القرآن صحيحة فيحرّف الكلم عن مواضعه، ولمّا كان اللسان العربي بالنسبة للعرب إرثا عتيقا وثمينا لا يجوز إضاعته؛ لأنه أسمى مقومات العربي وهويته، تناقلت كتب

---

[1] نذكر على سبيل التمثيل: كتاب القفطي إنباه الرواة على أنباه الرواة ، ص 40. ،الفهرست لابن النديم ، ص61.ذكر ذلك في أخبار النحويين واللغويين عند الكلام على ابتداء النحو. وكذا: الزبيدي (أبوبكر محمد بن الحسن): طبقات النحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، ص 22، في ترجمة أبي الأسود الدّؤلي.

[2] شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة، ط 7، ص 11.

[3] المرجع نفسه : ص 11 .

النحو والطبقات أثارا و مرويات عديدة متعاضدة تحثّ على اجتناب اللحن في الكلام، منها ما رواه "الأنباري"(ت328هـ) في كتابه (الوقف والابتداء)« أنّ عمر بن الخطاب أتى على قوم يُقرئ بعضهم بعضا، فلمّا رأوه سكتوا فقال: ما كنتم تتراجعون ؟ قالوا :كان يُقرئ بعضنا بعضا قال: اقرؤوا ولا تلحنوا،[وفي رواية أخرى]أنّ عمر بن الخطاب مرّ على قوم يرمون نبلا فعاب عليهم، فقالوا :يا أمير المؤمنين إنّا قوم متعلمين، فقال: لحنكم أشدّ علي من سوء رميكم»[1] .فإذا كان هذا الفزع الكبير من اللحن في الكلام البشري، فكيف هو مع كلام الله تعالى، ورغم ذلك فإنّ اللحن لم ينتشر إلاّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم « ولكن لما اتسعت الفتوحات، وأقبل المسلمون غير العرب على تعلّم القرآن الكريم وقراءته، واختلط العرب بغيرهم وكاد لسانهم أن يستعجم،وفشا اللحن في اللغة العربية على الألسن، وكاد أن يصل إلى القرآن الكريم، فخشي المسلمون أن ينتشر ويكثر ويمتدّ إلى كتاب الله تعالى فيقع التحريف في أدائه ومعناه، فأسرعوا إلى تدارك الأمر قبل أن يستفحل فوضعوا علامات، يعرف بها إعراب كلماته»[2].

وهكذا يتبين بوضوح أن بدء التفكير النحوي؛ إنّما انبثق في الحقيقة عن حاجات دينية، تمثلت أساسا في حفظ كتاب الله عزّ وجلّ من التحريف.وهذا ما ذهب إليه"ابن خلدون" (732-808هـ)في (مقدمته)مؤكّدا على أن زحف اللحن إلى القرآن كان السبب وراء وضع نظام وضوابط تقوّم اللسان بقوله:« وخشي أهل الحلوم(*)منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها، وينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة المطّردة شبه الكليات والقواعد، ويقيسون عليها سائر أنواع الكلام .»[3]، وردت في (الفهرست) رواية تؤكّد أنّ العامل الديني كان السبب الأول في ظهور معالم النحو، فقد حكى عن أبي عبيدة أنّه قال : أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود وكان لا يخرج شيئا ممّا أخذه علي كرّم الله وجهه إلى أحد حتّى بعث إليه زياد بن أبيه أن اعمل شيئا يكون للناس إماما ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتّى سمع قارئا يقرأ قوله تعالى:﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

[1] أبو بكر محمد الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ، تح :محي الدين عبد الرحمان رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، دط ،1971م ، ص 22 .

[2] مصطفى ديب البغا ،محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن ، دار العلوم الإسلامية ، دمشق ، ط2، 1998م ص 99.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، تح عبد الله محمد درويش ، دار البلخي ، دمشق ، ط 1، 2004 ، ج2 ، ص 368.

(*) أهل الحلوم : أهل الأحلام و العقول: "والحِلْمُ، بِالْكَسْرِ: الأَناةُ وَالْعَقْلُ، وَجَمْعُهُ أَحْلام وحُلُومٌ". ابن منظور: اللسان، (حلم).

وَرَسُولُهُ﴾[سورة التوبة ،الآية :03]. بالكسر فقال: ما ظننت أنّ أمر الناس وصل إلى هذا »[1]. وكان أول ما قام به بعد هذه الحادثة هو نقط المصحف لتستبين آليات نطقه صحيحة خاصة لغير العرب الداخلين حديثا في الإسلام، وبهذا يتجلى دافع آخر حدا بالنحويين إلى وضع النحو وهو العامل الاجتماعي المتمثل في الشعور بالأخوة تجاه الداخلين الجدد في الإسلام، وتعاظم الإشفاق من احتمال وقوعهم في التصحيف دون أن يعلموا؛ لأنّهم لم يكونوا أهل فصاحة وهذا يؤكّده "علي أبو المكارم " في كتابه (مدخل إلى تاريخ النحو العربي) في قوله:« يرى كثير من الدارسين قدماء ومحدثين، أنّ السبب في نشأة الدراسات النحوية، وهو ما يصطلح عليه بوضع النحو هو شيوع اللحن بعد أن فتحت الفتوح الكثيرة، ونتج عنها دخول أمم أجنبية في الإسلام واختلاطها بالعرب »[2]، وكان لابّد من أن يتحمل المسلمون مسؤولية مؤازرة إخوانهم في الدين، وإعطائهم المفاتيح التي بها يستعينون بها لفهم ما استغلق من اللغة والدين، ولا ننسى مدى اعتزاز العرب بعروبتهم وتمسكهم بفصاحتهم، حتّى عدّوا اللحن في الكلام هُجنة على الشريف وإساءة لمكانته بين النّاس، حتّى أنّ عبد الملك بن مروان قال، وهو أفصح الخطباء:«شيّبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن»[3]، ممّا يبيّن البعد القومي الذي كانت العرب تفخر بالتمسك به أيّما افتخار وذلك لأنّه كما أشرنا أن « العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، ممّا جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية »[4] مع مرور الوقت.

وهكذا يمكن أن نقول إن نشأة النحو لم تكن نتيجة حادث وحيد أو ظرف بعينه؛ ولكنّها حصيلة تضافر مجموعة من الأسباب والبواعث الدينية والاجتماعية والقومية، وإن كان الباعث الديني أقواها لأنّ الحفاظ على لغة العرب سليمة من اللحن إنّما هو حفاظ على قدسية الدين الإسلامي والأداء الصحيح للقرآن بلا تحريف،«فالزلل في الجهل باللغة مؤدٍ إلى تحريف الألفاظ وفساد معانيها والزلل في الإعراب يؤذن بفساد المعاني

[1] أبو الفرج إسحاق ابن النديم الورّاق : الفهرست تح : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، لبنان ، ط 1، 1997 م، ج1، ص 45.

[2] علي أبو المكارم : مدخل إلى تاريخ النحو ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2007 م،ص 33.

[3] علي النجدي ناصف :تاريخ النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978 م، ص 19.ونص الرواية: "وقيل له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن". ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد): العقد الفريد، د تح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ، ج2، ص308.

[4] شوقي ضيف : المدارس النحوية ،ص 12.

والتباسها»[1]،فينغلق بذلك فهم النص القرآني، وهذا الخلل في العربية، سيكسب الفرد لسانا عربيا هجينا، يعجز صاحبه على الإتيان بألفاظ القرآن كما نزلت، فتراه يرفع ماحقّه النّصب وينصب ما حقّه الرفع، وهذا النطق الخاطئ يؤدي به إلى الانحراف عن جادة الفهم القويم، وهو ما أثار حفيظة العرب ودفع بعلمائهم إلى التفكير في وضع آليات يُقوّم بها المخطئ إن أخطأ، ويصون بها غير المخطئ لسانه عن الزلل.

ولأنّ القرآن الكريم كان النّص الذي يحتج به بالمطلق، فقد مضى علماء اللغة فيما بعد يكشفون عن غريبه ومعانيه، ويعربون آياته لتكون بذلك كلّ القواعد المبينة للنصّ المقدس صحيحة لا مراء فيها، وغير قابلة للطعن الذي وجّهه بعض الحاقدين إلى القرآن الكريم من جانب أصالته الإعرابية، فظهرت إثره موجات للتشكيك فيه، وهذا ما سنعرج عليه في الجزئية المعنونة بأصالة الإعراب في القرآن الكريم .

المطلب الثاني: أصالة الإعراب في القرآن الكريم:

إنّ التّحامل على اللغة العربية ليس وليد الحاضر، بل قد أعلن الكثيرون لها العداء منذ القدم، فتوالت عليها المكائد، وتكرّرت الاتهامات الموجهة ضدها من قبل الغرب المضمر لنوايا الشر تجاهها، من أجل إسقاطها، أو الحيلولة دون تطورها وانتشارها؛ ذلك أنّ إسقاطها هو أذان لسقوط حضارتها، كيف لا وهي لغة القرآن، والسنّة النبوية والتراث العربي الإسلامي؛ فهي الوعاء الذي احتواها جميعا، وأنّ المساس بها هو في الحقيقة مساس وطعن في القرآن الذي هو كلام الله تعالى، فالعربية لسان القرآن ولغته، ولهذا لم يذخر الحاقدون من المستشرقين والملحدين أي جهد في سبيل الطعن فيها للتشكيك في الدين الإسلامي وكتابه المقدس.

والنّاظر في دراسة المستشرقين للثقافة العربية يجدها عبارة عن دراسات تاريخية تأصيلية، لكنّها تحجب عن أعين الناظرين خلفية ضغينة تجاه العرب وحضارتهم، ومن بين القضايا التي تناولوها من الناحية التاريخية، وهدفهم من ذلك محاولة الطعن فيها، موقفهم من قضية أصالة الإعراب في اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، وبالتالي انتفاء ظاهرة الإعراب من كليهما، وهذا أثار جدلا وتلاحيا كبيرين، فأسالت هذه القضية الكثير من الحبر على أوراق العلماء العرب ومن شاكلهم في الدفاع عن العربية والقرآن الكريم.

[1] يحي بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 2002 م، ص، 19 .

تصدرت كتب فقه اللغة العربية قائمة المؤلفات التي بحثت هذه المسألة، والتي كان على رأسها كتاب "رمضان عبد التوّاب":(فصول في فقه اللغة العربية)، حيث استعرض في سياق حديثه عن الإعراب في العربية جملة من الادعاءات والاتهامات التي ساقها بعض المستشرقين، ويعدّ" كارل فوللرز (Karl vollers) على رأسهم، وهو الذي « يرى أنّ النّص الأصلي للقرآن قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية، التي كانت سائدة في الحجاز ، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النهايات المسماة بالإعراب، وأنّه انتقل إلى النّص فيما بعد »[1]. وهو بهذا يشير إلى قضية استحداث ووضع علم النحو في بداياته الأولى، وإلى الضبط الإعرابي بصفة أدق، والذي هو في رأيه من اختراع النحاة، وأنّه « لم يكن موجودا إبّان القرن السابع الميلادي؛ أي على عهد النّبي صلى الله عليه وسلم »[2]، حيث يضيف صاحب كتاب (دفاع عن القرآن الكريم) أنّ معنى هذا القول هو أنّ « القرآن الكريم كان ينطق خاليا من الضبط الإعرابي، وأنّ الشعر العربي الذي ثبت يقينا أنّه كان متداولا في ذلك القرن كان ينطق غير معرب كذلك، سواء من ذلك الشّعر ما كان مرويا عن شعراء العصر الجاهلي،وما كان نتاج شعراء ذلك القرن السابع الميلادي نفسه، وينطبق هذا على ما كان متداولا من النثر من الأحاديث في ذلك القرن من باب أولى »[3] .

من خلال هذه الادعاءات الواهية المتقدمة، يمكن أن نستشف رأيا في غاية الخطورة، يتمثل في أن هذه الشبهات تقود إلى أنّه لو كان هذا الإعراب غير متأصل في اللغة العربية، وبالتالي غير متأصل في القرآن الكريم، وأنّ النحاة هم من استحدثوه وابتدعوه، ثم أضافوه إلى القرآن؛ معناه أنّ يد التحريف والعبث طالت آيات القرآن الكريم، وأنه « قد أدخلت عليه تعديلات في القرن الثاني الهجري وما بعده، في صورة تطبيق العلامة الإعرابية عليه»[4].وهذا مستبعد؛ إذ يفضي التسليم بهذا القول إلى اعتبار هذه العلامات دخيلة على القرآن الكريم وألفاظه، ونسي هؤلاء أن الإعراب من معانيه اللغوية الإبانة والإفصاح، فإذا انتفى الإعراب فإن جزءا كبيرا من الإبانة سينتفي ضرورة، ويصبح القرآن غير مبين، وهذا ما لا يصح إطلاقه على القرآن، الذي كفانا مؤونة الرّد على مثل

[1] رمضان عبد التوّاب : فصول في فقه اللغة، ص،377.

[2] محمد حسين حسن جبل : دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن واللغة العربية ، البربري للطباعة ، مصر، 2000م، ص 13 .

[3] المرجع نفسه، ص 14 .

[4] محمد حسين حسن جبل : دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن واللغة، ص 15.

هذه الشبهات حيث ينزه الله كلامه وقرآنه بقوله تعالى:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[سورة الزّمر ، الآية :28] وقوله أيضا :﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[سورة الشعراء ، الآية : 195].فكيف خطر لهؤلاء استئصال جوهر اللغة العربية وسرّها الذي هو الإعراب، خاصة وأنّ في القرآن الكريم بعض الآيات التي يلتبس قراءتها وفهمها إلاّ إذا تمت قراءتها بطريقة تدفع هذا الالتباس؛ أي جاءت معربة، ومن أمثلتها نجد قوله تعالى :﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[سورة البقرة ،الآية 124] وقوله تعالى أيضا :﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[سورة البقرة ، الآية : 133] وغيرها من الآيات التي يحدث فيها دخول الإعراب وغيابه فرقا معنويا كبيرا .

وقد ناصر المستشرق الألماني (باول كاله)(Paul .kahLe) ما ذهب إليه "فوللرز"، حيث يشير إلى قضية الحثّ على الالتزام بالإعراب في الكلام ، من خلال دراسته للأحاديث التي تناولت إعراب القرآن ، استخلص أن ذلك « الإلحاح على طلب قراءة القرآن الكريم بالإعراب، لا يبدو معقولا إلاّ إذا كان يُقرأفي الواقع بدون إعراب، وأُريد له أن يقرأ بالإعراب الذي عُدّ في وقت متأخر من مظاهر القُحّة اللغوية »[1]،ويمكن الردّ على "كاله" ورأيه هذا أنّه أخطأ فيما ذهب إليه؛ لأنّ الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفا في أيام من حُثُّوا على قراءة القرآن بالإعراب، وقد تطرقنا إلى هذه القضية في مدخل هذه المذكرة، و يمكن أن ندحض رأيه بالقول إنّ: « الجديد الذي وضعه النحاة هو تلك الرموز لا غير، وهي عملية قصد بها تعريف الأعاجم وأشباههم، بواسطة هذه الرموز المكتوبة بهيأة نطق القرآن الكريم نطقا صحيحا حسب الأداء الفصيح للعربية، وهو الأداء الذي كان معروفا وملتزما به في العصر الجاهلي »[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّه إذا كان كل من المستشرقين"**باول كاله** "و"**كارل فوللرز**" قد طعنا في اللغة العربية والقرآن الكريم، فإنّ منهم من أنصفهما، مثل ما فعل كل من (**ثيودور نولدكه** Thoedor Noldeke) و (**يوهان فك** J.Fuck) حيث وقفا في وجه من عارض ونفى فكرة أصالة الإعراب في اللغة العربية والقرآن، حيث يبسط الدكتور "محمد بن إبراهيم الحمد" في كتابه (فقه اللغة) رأي هذين

[1] محمد إبراهيم الحمد : فقه اللغة مفهومه موضوعه قضاياه ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط 01، 2005م ،ص 419.

[2] محمد حسين حسن جبل : دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن واللغة العربية، ص 16.

المستشرقين؛ **فنولدكه** يرى أنّه « من الخطإ الشنيع الاعتقاد بأنّ اللغة الحية في عهد النبي الله عليه وسلم، لم يكن فيها إعراب؛ فإنّ العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائقه لدى البدو»[1]، ويرجع وجود تلك النهايات المبتورة من الإعراب إلى «ظاهرة الوقف الشائعة في الحديث اليومي، قد عوّدت الأذن على سماع الصيغة الخالية من الإعراب»[2] المرتبط بالإبانة عن حركات أواخر الكلم.

كما يؤكّد الدكتور "صبحي الصالح "في كتابه (دراسات في فقه اللغة) من خلال الفصل الموسوم بظاهرة الإعراب، أنّه لا أحد يشك في تواتر القرآن وقراءاته معربا كما أنزل بقوله:« وأمّا ترتيلهم القرآن معربا،فما نحسب عاقلا في الدنيا يرتاب فيه، ولم يزعم أحد من العلماء عامية الأسلوب القرآني أو تجرّده من ظاهرة الإعراب لأنّ ما في القرآن من الألفاظ الصالحة لأن تقرأ رسما بأكثر من وجه كان السياق فيه غالبا يُعيّن قراءته المثلى، ويفرض وجهه الأفضل ولا يعيّن قراءة ما إلاّ تحريك الأواخر بالحركة الإعرابية المناسبة »[3].ففي القرآن كثير من الأساليب التي تَوفُّرُ الإعراب فيها أمر ضروري، من أجل تأدية المعنى وإبانته،خاصة وأنّ الخطأ فيه بتغيير حركات أواخر الكلم يحرّفه كما في الآيات السابقة. ومن خلال هذا الرأي نجد أن الدكتور صبحي الصالح يفنّد ما ذهب إليه كل من (فوللرز) و(كاله) من أنّ القرآن الكريم نزل بلهجة عامية في الحجاز، وإنما هو منزّل باللغة العربية الفصحى التي وصلنا بها الشعر الجاهلي قبل الاختلاط بالأعاجم.

ولم يكن الإعراب موجودا ومعروفا منذ العصر الجاهلي لما عُدّ اختلاف حركات الرويّ في قصائد الشعراء عيبا ممجوجا له تسميات عديدة ينصّ عليها العارفون بنقد الشعر في كتبهم[4].

---

[1] محمد إبراهيم الحمد : فقه اللغة مفهومه موضوعه وقضاياه، ص421.

[2] المرجع نفسه، ص421.

[3] صبحي الصالح:دراسات في فقه اللغة ، دار العلم الملايين ، بيروت ، ط1، 1960م، ص 119.

[4] ينظر لهذا أمثلة كثيرة في كتب نقد الشعر، مثل: ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، ج1، ص96. في باب خصصه للكلام على عيوب الشعر التي من أهما الإقواء وهو اختلاف حركات الروي.ولا يخلو كتاب من كتب علم العروض والقافية من ذكر وتنبيه إلى اجتناب مثل هذه العيوب. يراجع مثلا: أبو الحسن العروضي (أحمد بن محمد): الجامع في العروض والقوافي، تح: زهير غازي زاهد، هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م، ص283.

وخلاصة القول أنّ الطعن في إعراب اللغة العربية، وبالتالي عدم أصالته في القرآن الكريم، هو طعن في أهم ركائز الدين الإسلامي ومقومات الثقافة العربية الإسلامية، لهذا لم يتوان الحاقدون على لغة القرآن الكريم موجّهينَ وابلاً من التّهم والشبهات من أجل إنزالها من أعين العالم الغربي وأعين أبنائها، حتى يستطيعوا إحياء وتمجيد ثقافتهم عن طريق الترويج لاستعمال اللغة الأعجمية بدلا من العربية.

المطلب الثالث :نشأة إعراب القرآن الكريم وتطوره:

ما من علم مهما كانت أهميته وجِدّته إلاّ ويمر خلال مسيرة تكوّنه وتطوره بمراحل، ينتقل فيما بينها ليصبح علما قائما بذاته، والأمر نفسه مع إعراب القرآن، حيث أنّ أطواره متداخلة ومرتبطة فيما بينها حتى لا تكاد تفصل بينها، وقبل الشروع في عرض هذه الأطوار حريّ بنا في هذا المقام أن نقف وقفة يسيرة مع السبب في ميلاد هذا الفن وغيره من الفنون اللغوية والقرآنية، وهو اللحن.

يعد اللحن من المشترك اللفظي الذي تحمل كلماته أكثر من دلالة واحدة، وللّحن في اللغة عدة معاني(*)يحددها سياق الكلام و فحواه. ومنه تجدر الإشارة إلى أن اللحن المقصود بالدراسة هنا هو ذاك اللحن الذي حصل في قراءة آيات الذكر الحكيم من خلال تغيير أواخر الكلم بالخطإ، وهذا أحد معاني اللحن في اللغة، أمّا في الاصطلاح فقد قسمه علماء التجويد قسمين: «خفيّ(**) وجليّ، أما الجلي فهو خطأ يطرأ على الألفاظ فيُخل بموازين القراءة ومقاييس التلاوة وقوانين اللغة والإعراب، سواء ترتّب عليه إخلال بالمعنى أم لا، وهذا النوع من اللحن قد يكون في بنية الكلمة وحروفها (...) وقد يكون في حركات الكلمة »[1]. فلما ارتبط هذا اللحن بالقرآن الكريم وقراءته، و كانت نتيجته ظهور علم النحو الذي كانت ثمرته الأولى إعراب القرآن بمفهومه الأولي الذي ابتدأ مع أبي الأسود الدؤلي، وقد مرّ إعراب القرآن الكريم بأربعة أطوار نجملها في ما يلي:

أطوار إعراب القرآن:

الطور الأول : نقط المصحف الشريف:

كان المسلمون الأوائل يتلون كتاب الله دون أن تكون حروفه مضبوطة بالشكل، وذلك لأنّ الفصاحة منذ نزول الوحي على الرسول الكريم إلى غاية زمن جمع وتوحيد المصاحف على يد "عثمان بن عفّان"، كانت

---

[1] محمود خليل الحصري : أحكام قراءة القرآن الكريم ، المكتبة المكية ودار البشائر الإسلامية ، ط04 ، 1999م، ص 34 .

(*) هي في اللغة ، الغناء والتطريب ، والمعنى والفحوى ، التعريض ، الخطأ في الكلام ، الفطنة والذكاء. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (لحن).

(**)هو : خطأ يعرض للألفاظ فيخِل بقواعد التجويد ولكن لا يخلّ باللغة ،ولا بالإعراب ، ولا بالمعنى. ينظر: محمود خليل الحصري : أحكام قراءة القرآن الكريم ، المكتبة المكية ودار البشائر الإسلامية ، ص34.

سليقية في العرب الذين قرأوا القرآن بأفهامهم واستوعبوه، فلم يُشْكِل عليهم أن تكون الكثير من الحروف متشابهة وغير مشكولة بالحركات والسكنات.

لكن عندما انتشرت الفتوحات الإسلامية ودخل غير العرب في الإسلام –كما أسلفنا– وشاع اللحن في كلامهم ومسّ قراءاتهم للقرآن، خشي أهل الفصاحة أن يستفحل هذا الداء، فيصير استئصاله أمرا عسيرا، بعد أن يصبح طبعا في الألسنة، فدعاهم ذلك« إلى البحث عن طريقة تعصم من يتلو القرآن من الوقوع في اللحن، حين القراءة من المصحف، وذلك بسب خلوّه من رموز الحركات»[1]، وبعد التفكير والتدبّر عرف المسؤولون أنّ نص القرآن لا ينبغي أن يبقى دون شكل؛ لأنّه مع مرور الزمن سيؤول إلى التحريف في اللفظ والمعنى، فكان الحلّ لذلك القيام بجملة من التحسينات التي طرأت على الخط العثماني الخالي من الضّبط، شريطة أن لا تمسّ هذه التعديلات صورة الحروف أو تغيّر معانيها، و «مع مرور الزمن مرّت كتابة المصاحف إلى تطوّر تناول منها النقط والشّكل دون صورة الحرف الأولى »[2]

وقد كانت هذه التحسينات على نوعين هما؛ **نقط الإعراب** ثمّ **نقط الإعجام**، وكلاهما كانا في زمنين مختلفين ولدافع واحد، هو تناقل القرآن الكريم عبر الأجيال دونما أي تصحيف، وقد كانت نقط الإعراب التي هي« العلامات الدالة على ما يعرض للحرف، من حركة أو شدّ أو مدّ أو سكون أو تنوين»[3] في عهد "زياد بن أبيه" والي البصرة، الذي فكّر أنّ أبا الأسود بفطنته وحذقه بضروب اللغة وصنوف القراءة، قادر على وضع شيء « يكون للناس إماما، فامتنع أبو الأسود عن ذلك وسأله الإعفاء، حتى سمع أبوالأسود قارئا يقرأ قوله تعالى:﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[سورة التوبة ،الآية :03]. بالكسرة، فقال ما ظننت أمر النّاس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال :أنا أفعل ما أمر الأمير، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بكاتب آخر فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت

[1] رمضان عبد التوّاب :فصول في فقه اللغة ، ص 113 .

[2] دخيل عبد الله الدّخيل : إقراء القرآن منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه ،مركز الدراسات والمعلومات القرآنية ، الرياض، ط1، 2008 م، ص189.

[3] حفني ناصف :حياة اللغة العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ،ط 1، 2002 م، ص 80 .

فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة تحت الحرف، وإن مكّنت الكلمة بالتنوين فاجعل أمارة تلك نقطتين»[1].

فكان عمل أبي الأسود هذا الخطوة الأولى في ضبط كلمات القرآن الكريم، والحفاظ على نطقها نطقا سليما، وهو بهذا أوّل من ضبط النّص بالإعراب المرسوم المقيّد بالكتابة، بعدما كان صفة فطرية تنطق به العرب على السليقة، وهذا الصّنيع أفاد الخليل كثيرا في الاهتداء إلى وضع علامات أو **حركات الإعراب** التي نعرفها اليوم، والتي هي الضمّة والفتحة والكسرة، والذي فعله أبو الأسود هو «أنّه بدأ فأحصى الحركات التي يمكن أن يتحركها الحرف فإذا هي ثلاث، يزاد على كلّ منها غنّة، تكون في أغلب الأحيان في أواخر أكثر الأسماء، ونظر في الحركات التي يتحركها الفم ليحدّد صوت كل حركة، فإذا هي انفتاح وكسر وضمّ، وفي الانفتاح اتجاه إلى أعلى، وفي الانكسار اتجاه إلى أسفل، وأمّا الضم فوسط بينهما»[2]. ولم يشكل أبو الأسود كلمات القرآن كله، وذلك حتّى لا يختلط الأمر على النّاس؛ ولأنّ الخطأ في ذلك العهد إنّما وقع في أواخره، فكان المصحف يكتب بمدادين، الأسود للحروف والأحمر للشّكل، الذي كان عبارة عن «نقاط صغيرة رسمت على شكل دائرة حمراء أشبه بحركة السكون المغلقة،التي تستعمل على الحروف أو بالرقم الحسابي»[3].

وظل هذا النقط يستعمل بين الناس زمنا، وظن أهل العلم أنهم سلموا أخيرا من اللحن، لكن يبدو أن مرور الوقت، وتقلّص مساحة الفصاحة والسليقة العربية بهلاك فصحاء العرب وأعرابها، وانتشار المدنية وفشو أعراضها التي من بينها اختلاط الألسنة، قد أدّى إلى ظهور مشكل آخر، وهو عدم قدرة الناس على التمييز بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء مثلا لأنّها كانت غير معجمة بعد، وكان ذلك على عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر الحجّاج أن ينتدب لذلك شخصا مؤهلا يهدي الناس إلى القراءة الصحيحة كما فعل أبو الأسود، عندما وضع نقط الإعراب « فاختار الحجاج لتلك المهمة نصر بن عاصم ويحى بن يعمر، وكانا من أبرز العلماء وقتئذ في القراءات وتوجيهها وعلوم العربية وأسرارها، فوضعوا (نقط الإعجام) لتمييز الحروف عن

[1] أبو الحسن جمال الدين علي القفطي:إنباه الروّاة على أنباه النحاة ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر ، القاهرة ، ط 1، 1986م، ج 1، ص 40.

[2] عبد الحيّ حسين الفرماوي :رسم المصحف ونقطه ، دار نور المكتبات ،السعودية ، ط 1، 2004 ،ص291 .

[3] فتحي عبد الفتّاح الدجيني : أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1، 1974 ، ص 191 .

بعضها »[1] و هذا النقط هو« الذي يدل على ذوات الحروف ويميّز بينها »[2]، وبعد أن نظر نصر بن عاصم ويحي بن يعمر في هذه الحروف، ووجداها متشابهة تماما في الكتابة، رأيا أن أحسن طريقة للتمييز بينها، هي نقطها بنقاط شريطة أن لا يتجاوز عددها كأقصى حدّ ثلاث نقاط «وعلى ما استقر عليه الأمر تكون الحروف المهملة التي لا نقاط فيها ثلاثة عشر (أ، ح،د، ر،س،ص، ط،ع ،ك ،ل ،م ، هـ ، و)، والمعجمة أربعة عشر حرفا (ب، ت، ث،ج،خ، ذ، ز، ش، ض، ظ،غ، ف، ق، ن)، أمّا الياء فمهملة في الطرف معجمة في الأول والوسط »[3] .واستعمل هذا النقط في كتابة المصاحف كما استعمل في أنواع الكتابات الأخرى إلى اليوم .

الطور الثاني : الدرس النحوي وإعراب القرآن:

لقد مهّد نقط أبي الأسود الدؤلي الطريق للنحاة وفتح لهم باب الحديث عن إعراب القرآن، لاسيّما بعد أن شرعوا في التقعيد للنحو العربي، جاعلين النّص القرآني النّص الأول الذي يحتج به على الإطلاق؛كونه النص المعجز بلفظه ومعناه الذي﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت ،الآية:42] وعلى هذا يكون هو« النّص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف علوم البلاغة وقراءاته جميعا، الواصلة إلينا بالسّند الصحيح حجّة لا تضاهيها حجة »[4]. وهذا ما أقرته نظرية الاحتجاج منذ نهايات القرن الأول الهجري، وقد أكد "العكبري" على أنّ أول ما بدأ به النحاة الأوائل هو إعراب آيات القرآن المجيد، ووجوهه الإعرابية التي قد تتغيّر بتغيّر القراءات مما يضيف معاني جديدة للقرآن، ويؤكّد إعجازه وينفي اختلافه، وذلك حيث يقول: «وأوّل مبدوء به من ذلك تلقي ألفاظه من حفاظه، ثم تلقف معانيه ممن يعانيه، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويوصل به إلى أغراضه ومعناه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القراءات المنقولة عن الأئمة الأثبات»[5]، وهكذا كان دأب علماء النحو منذ بداياته الأولى فراحوا يعرضون لآيات القرآن الكريم بالتحليل، وستشهدون بها على صحة قواعدهم، ويبينون

[1] دخيل عبد الله الدخيل : إقراء القرآن منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه ، ص 191 .

[2] حفني ناصف : حياة اللغة العربية ، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص 85.

[4] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، مديرية الكتب، ط1، 1994 م،ص 28 .

[5] أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري :التبيان في إعراب القرآن ، علي محمد البجاوي ،عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر، ط1، 1986م ، ص01 .

للأجيال الناشئة التي توقعوا أن تبتعد عن العربية يوما بعد يوم مبادئ ثابتة، مستوحاة من لسان العرب والقرآن الكريم، علّهم يصونون لسانهم عن الخطأ، ويصححون الأخطاء التي قد يقعون فيها والتي ستؤول حتما إلى مجانبة الصواب، ولا ننسى أنّ النحاة الأول الذين نشأ على أيديهم النحو كانوا قرّاء،كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس والخليل ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجههم إلى الدراسة النحوية »[1] لأوجه قراءات القرآن، والبحث عن توجيه لاختلافاتها.

ويؤكد أحمد سليمان ياقوت على أنّ البدايات الأولى لإعراب القرآن كانت متناثرة في كتب النحو، حيث يقول :«قد نظر النحويون في إعراب الآيات منذ أول كتاب نعرفه، وهو كتاب سيبويه ففيه نجد كثيرا من الشواهد القرآنية التي تعرض لها سيبويه بالإعراب أثناء شرحه للقاعدة النحوية »[2] ، ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن بوادر إعراب القرآن الكريم ظاهرة في كتاب سيبويه ومن لحقه من النحاة، قد برزت أثناء العُروض للآيات القرآنية بالإعراب بغية تأييد صحة القواعد الموضوعة.

ولا يخفى على أهل الاختصاص أنّ كتاب سيبويه هذا هو قرآن النحو نظرا لاحتوائه على جلّ الأبواب النحوية، وما من كتاب ألف بعده إلاّ وكان له سيبويه قدوة وكشافا للمعاني النحوية، ولا ينبغي لهذا الكتاب إلا أن يكون كذلك، فسيبويه «من أكثر النحاة تمسكا بالشاهد القرآني، وأعظمهم إجلالا،ولقد ثبت أنّه استدل في كتابه بآيات ونصوص من جميع سور القرآن ،سوى سورتي الدخان والحجرات ،حتى بلغ عدد المستشهد بها فيه ثلاثا وعشرين وأربعمائة آية سوى المكرر»[3]منها، ومن القواعد التي دعّم سيبويه صحتها بالاحتجاج بالشاهد القرآني قوله في الكتاب «وسألت الخليل عن قوله عزّ وجلّ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[سورة الروم، الآية:36] قال هذا كلام معلق بالكلام الأول، كما كانت الفاء معلقة بالكلام معلقة بالكلام الأول، وهذا هاهنا في موضع ﴿قنطوا﴾ كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل

[1] عبد العال سالم مكرم :أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ،مؤسسة جراح الصباح ، الكويت ، ط1، 1979 .ص 55 .

[2] أحمد سليمان ياقوت : ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 1994 م، ص 232.

[3] محمد بن عبد الله الحمد السيف : الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن ،دار التدمرية ،المملكة العربية السعودية، ط1، 2008 ، ص 80 .

قال ونظير ذلك قوله:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾[الأعراف، الآية:193] بمنزلة: أم صمتكم ومما يجعلها بمنزلة الفاء أنها لا تجيء مبتدأة»[1].

وهذه الشواهد الكثيرة من القرآن الكريم وظهور آياته معربة بين ثنايا كتاب سيبويه أولا، وما تبعه من الكتب،وحتّى النقاشات النحوية قبل الكتاب، تؤكد أنّ فكرة إعراب القرآن بدأت مبكرا، أو لنقل بدأت مع بدايات التفكير في التنظير للقواعد النحوية، فكانت هذه الآيات المعربة بمثابة تطبيق لما تمّ تقعيده، و ثاني خطوة بعد المحاولة الأولى لأبي الأسود المتمثلة في نقط المصحف، والتي عدّت بمثابة إجراء أولي مهّد لإعراب القرآن.

ولا عجب أن نجد في كتاب سيبويه كل هذا الكمّ من الاستشهاد القرآني، والنحوُ إنّما نشأ في رحاب القرآن الكريم، وكان السبب وراء ابتكار قواعده هو صون لغة القرآن التي هي العربية من التحريف والتبديل كما ذكر سابقا.ويمكن القول إنّ هذه المرحلة التي وصل إليها النحو، وفيها استوى ونضج مع ثلة من النحاة كان سيبويه على رأسهم، قد مثلت الأرضية التي أسّس عليها معربو القرآن آليات إعرابهم، ولم يكن إعراب القرآن في كتب النحو مقصودا بالتأليف؛ بل كان مجرد استئناس لإثبات صحة القاعدة، وقد جاءت بعد هذه المرحلة مراحل إعراب القرآن نشاط واسع لحركة التأليف كان إعراب القرآن مبحثا من مباحث هذه الكتب.

الطور الثالث: كتب معاني القرآن وإعراب القرآن:

تبيّن ممّا سبق أن(الكتاب) "لسيبويه" يعدّ أرقى وأنضج مرحلة وصل إليها النحو، حتى وصف أنّه قرآن النحو؛إذ استطاع أن يستوفي جميع مباحث النحو العربي، وكان المنهل الأول الذي استقى منه مادته هو القرآن الكريم،وما إن بزغ فجر القرن الثاني والثالث الهجريين، حتى توالت المصنفات والكتب في هذا الميدان، واستقرت جل مباحث النحو وقضاياه، فما كان من النحاة إلاّ أن حاولوا استكشاف جوانب جديدة من هذا النص القرآني البليغ،فاتّجهوا في أبحاثهم وجهة أخرى في تناول القرآن، تمثلت في البحث اللغوي لآيات الذكر الحكيم، وشرح معاني مفرداته من خلال استثمار كل ما تمّ اكتنازه من المباحث والدراسات في سبيل فهم القرآن، فانبثقت عن هذا الاتجاه

[1] سيبويه : الكتاب،ج3، ص 63 .

علوم وفنون شتى كغريب القرآن ولغاته، ومشكله[1]، واستهوى هذا الاتجاه أنظار النحاة فاتخذوا منه عنوانا لمؤلفاتهم المتعلقة بالدراسات القرآنية، وسمّوها "معاني القرآن ".

والسؤال الذي يستوقف كل من يطرق أذنه هذا المصطلح، والذي هو عنوان تلك الكتب، هو: ما السبب الذي جعل النحاة والعلماء يطلقونه عليها، في حين يضمونها إلى كتب إعراب القرآن الكريم ويجعلونها مرادفا ومُشاكلا له ؟.

إنّ المفهوم من كلمة "معنى القرآن" التي تجمع على معاني، حسب ما جاء في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني ، « تعني إظهار ما تضمّنه اللفظ، والمعنى يقارِن التفسير، وإن كان بينهما فرق»[2]. ويعرّفالكفوي في (الكليات)المعنى بأنّه :« ما يفهمه [القارئ] من اللفظ »[3].

من خلال النقلين السابقين نستنتج أن؛ المعنى يفيد الإظهار والبيان ؛أي مقصود المتكلم من لفظه، وهذا الكلام يحيلنا إلى المعنى اللغوي للإعراب، والذي هو الإبانة والإفصاح والإظهار، فيكون المعنيان متقاربين إلى حدّ ما، و تعريفه على أنّه إظهار ما يتضمنه اللفظ يفيد أن هناك توافقا مع معنى الإعراب، فكلاهما يسعى إلى الغاية نفسهاوهي إظهار القصد وبيانه، وإن كان الأصفهاني قد قارنه والتفسير، إذ أنّ التفسير كما هو معلوم هو الكشف والإيضاح.

أمّا عن دلالة مصطلح المعاني المرتبط بالقرآن، فإننا لا نجد تبريرا أو توضيحا شافيا من قبل أصحاب هذه الكتب لوجه إطلاق هذه التسمية، لهذا « يصعب على الباحث أن يحدد تحديدا دقيقا أول من وضع مصطلح

[1] أشتهر منها ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله من مسلم) تأويل مشكل القرآن،تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان. وله أيضا غريب القرآن تح:أحمد صقر ،دار الكتب العلمية، بيروت،1398هـ، 1978م، امّا في لغاته فنتمثل بـ عبد الله بن الحسن السامري: اللغات في القرآن ، حققه ونشره صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط1، 1365هـ 1946م.

[2]أبو القاسم الحسين الأصفهاني :مفردات ألفاظ القرآن ، تح :صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 2009 م، ص 591. و فيه يذكر أن الفرق التفسير والمعنى :"أنّ التفسير هو الكشف والإيضاح ،والمعنى يطلق على مدلول الألفاظ ، وبه يُقابل اللفظ،وقد يراد به التقدير كما في قوله تعالى :{واسأل القرية } والمعنى :أهل القرية". ص591.

[3]أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تح :عدنان درويش و محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط 2، 1998م، ص 842.

المعاني، أو أراد به الدلالة على ما تضمنه اللفظ، بل اللفظ القرآني بخاصة، إذ لم تذكر المصادر شيئا عنه »[1]إلاّ ما نجده بين ثنايا مقدمات التحقيق لهذه الكتب، أو في بعض الدراسات التي تناولتها بالبحث، والتي يمكن أن نستخلص منها أنّ دلالة معاني القرآن تطلق على « تلك الكتب التي تعنى بالبيان اللغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم، وهي تجمع بين المعاني اللغوية للمفردات وشيء من إعراب المشكل والاحتجاج للقراءات»[2].وتعرّف أيضا على أنّها «مناقشة القضايا اللغوية في النص القرآني من إعراب،وتأويل وتفسر، والتعرض لكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في آيات القرآن الكريم »[3].

كما جاء في مقدمة تحقيق كتاب (معاني القرآن) للأخفش، حيث تضيف محقّقة الكتاب هدى محمود قراعة تعريفا آخر تقول :« أمّا كتب معاني القرآن فهي النواة الأولى للتفسير النحوي للقرآن، فأصحاب كتب المعاني إنّما يفسرون في ضوء إعرابهم لآيات القرآن »[4]، بمعنى أن معرفة المعاني والدلالات متوقفة أحيانا على معرفة الإعراب النحوي، ومستنبطة منه.

يتضح مما سبق أن ما عرف بكتب المعاني- هي في الواقع- فرع من فروع التفسير الذي قوامه اعتماد اللغة وما دار في فلكها، وهذا الأمر يطرح تساؤلا عن محل إعراب القرآن من هذه الكتب، وكيف تجسد مرحلة من مراحل تطوره؟.وهذا ما حاولت محققة (معاني الأخفش) إيضاحه من خلال بيان محل إعراب القرآن من "كتب المعاني" تقول: «معاني القرآن أشمل من إعراب القرآن، فإذا كان الإعراب فرع المعنى كما يقال، فتكون المعاني أشمل من الإعراب، فالإعراب فرع المعنى والمعاني أصول، فإذا أضفنا المعاني إلى القرآن وكانت الإضافة على معنى "في" فكأنّما كتب إعراب القرآن إنّما هي أصول النحو في القرآن الكريم»[5].فيكون إعراب القرآن فرعا من فروع المباحث التي تناولتها هذه الكتب، ويكون هذا الكلام صحيحا فقط إذا كان المقصود من الإعراب بيان أواخر الكلمات.

---

[1] عمار الددو:البحثالدلالي في كتب معاني القرآن ، عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ط 1 ،2010 م، ص 13.

[2] محمد عبد الله بن حمد السيف :الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم ص 77 .

[3] المرجع نفسه، ص77.

[4] أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط :معاني القرآن ،تح: هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1، 1990 ، ص 24 .

[5] المرجع نفسه، ص 25 .

في هذه الكتب فوجد أن مؤلفو معاني القرآن قد اطلعوا على كتب المفسرين الذين عاصروهم، فلم يجدوا ما يشفي غليلهم ويسدّ بعض الثغرات التي تفطنوا إليها، وحاولوا استثمار ما قدمه المفسرون وما شاب كتبهم من نقائص، فوضعوا كتب معني القرآن؛ ذلكأنّ النظر «إلى الطرح اللغوي في كتبهم يُشعر أنّهم يريدون ملء فراغ بحوث لا تجدها عند مفسّري السلف، فخاضوا غمار البحث القرآني من منظور لغوي (...)وأن المتأمل في كتب معاني القرآن التي أدخلت فيها إعراب القرآن فإنّك تكاد تجزم بأن البحث النحوي هو الأصل في هذه الكتب، وأنّ البحث اللغوي تابع له،وأنّ البحث اللغوي تابع له،ويدل على ذلك أنّ البحوث والنحوية تطغى على البحوث اللغوية، ويستنبط من هذا أنّ هؤلاء العلماء كأنّهم أرادوا بالتأليف في [معاني القرآن النحوي] إبراز مذهبهم النحوي الذي ينتمون إليه»[1].خاصة وأن الناظر في تلك المؤلفات يجد أنّ مؤلفيها من أعلام مدرستي الكوفة والبصرة، ويمكن القول أيضا إنها كانت ميدانا لإبراز القدرات العلمية بين المدرستين.

وليس بعيدا عن هذا الرأي ما رآه هاني الفرنواني من خلال ما نقله عن أحمد مكي*في دراسته عن الفرّاء، ذاهبا إلى أن كتب معاني القرآن هي في واقع الأمر كتب إعراب للقرآن بقوله:«إن كتاب معاني القرآن للفرّاء في حقيقته من كتب إعراب القرآن، وأنّ الاسم المشهور لكتاب الفرّاء هو معاني القرآن غير أنّنا نجد بداخله تسمية أخرى هي مشكل إعراب القرآن ومعانيه، وأنّ كلمة معاني القرآن في هذه المرحلة كان المقصود بها هو بيان ما أشكل إعرابه من القرآن الكريم »[2]، فإذا تأملت مقدمات هذه الكتب تجد «أنّ إعراب القرآن في هذه الكتب مقصود بالتأليف،وهو ضميم لعلم معاني القرآن عندهم، وأنّ إطلاق مصطلح معنى القرآن عليها دون ذكر الإعراب، إنّما هو اختصار في العنوان »[3] ؛أي أن إعراب القرآن قد انشطر عن معاني القرآن التي كانت احتضنته تحت كتبها المؤلفة وسار معها جنبا إلى جنب، وكان أصل العناوين أن تكون: معاني القرآن وإعرابه.

---

[1] ينظر: مساعد بن سليمان الطيّار : التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط1 ، ص 259 .

[2] هانيءالفرنواني: في أصول إعراب القرآن الكريم ، دار الوفاء ،بيروت ،ط1، 2006 م، ص 13.

[3] مساعد بن سليمان الطيّار : التفسيراللغوي للقرآن الكريم، ص 206.

* هذا كتاب ألفه أحمد مكي الأنصاري، وهو عبارة عن رسالة قدمها المؤلف إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراه، وحيث تناول فيها النحوي أبو زكريا الفرّاء وحياته وعصره ينظر في هذا : تقديم عبد الحميد حسن لكتاب أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة، لأحمد مكّي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.1962م.

ويمكن تلخيص المرحلة استنادا على ما تمّ تقديمه، في أن العنوان يكون مرآة لمحتوى الكتاب ويعطينا إضاءة ولو ضئيلة عن مضمونه وفحواه، إلا في بعض الحالات الاستثنائية في الكتب الأدبية والإبداعية، التي تكون عناوينها إيحائية وشاعرية، وإن كانت كتب الأقدمين لتتسم بشيء من الغموض والتداخل، بحيث لا يبين العنوان فيها عن محتوى الكتاب بدقة ووضوح؛ وذلك راجع إلى سعة مباحثهم وتشعبها، فمؤلفاتهم بمثابة موسوعة شاملة تضّم صنوف العلوم على اختلافها، وهذا ما يمكن إسقاطه على كتب معاني القرآن، خاصة وأنّها تتناول نصا في منتهى البلاغة والبيان، فكان أن أخذت من كل بستان زهرة –كما يقال– خاصة وأنها جاءت بعد أن استوى علم النحو واكتمل وكذا الصرف والقراءات وغيرها من الفنون، كل هذه دخلت تحت رداء هذا المصطلح فجاء فضفاض الدلالة والمفهوم الذي يدل عليه، ومنه كانت هذه المرحلة من إعراب القرآن، تتسم بالشمول والتشعب، ومثّلت أنضج مرحلة مرّ بها هذا الفن إلى أن تطورت الدراسات، وسار هذا الفنّ نحو التخصص والاستقلالية في التأليف والبحث.

الطور الرابع :إعراب القرآن فن مستقلّ:

لقد مثلت كتب المعاني أنضج مرحلة مرّ بها إعراب القرآن إذ حوت جلّ صنوف الفنون اللغوية والقرآنية من تفسير وقراءات وتصريف، وكان فنّ الإعراب لم يُفطم بعد عن كتب معاني القرآن، وإنّما جاء بين ثنايا هذه الكتب وأشباهها من كتب غريب القرآن و مجازه...وغيرها إلى أن نهجت حركة التأليف سبيل الاستقلالية، وكان أول من فصل إعراب القرآن الكريم هذه الكتب مادة وعنوانا أبو جعفر النحّاس، حيث جعل لكل معاني القرآن وإعراب القرآن في كتاب مستقل، وقد صرّح بهذا في مقدمة كتابه الموسوم بعنوان (إعراب القرآن) «هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله إعراب القرآن والقراءات التي تحتاج أن أبيّن إعرابها والعلل فيها ...وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب وما شاكله بحسن الله وتوفيقه »[1] فكان القصد من تأليف هذا الكتاب، هو الإعراب بغض النظر عمّا تحمله هذه النظرة من دلالات ومعاني عند الأقدمين.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الإعراب حتى وإن استقلّ عن كتب المعاني، إلاّ أنّ هذا لم يمنع المؤلفين في هذا المجال من إدخال بعض الجوانب كالقراءات وما عرفته تلك الفترة خلاف بين مدارس النحو وغيرها من الأمور التي

[1] أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النّحاس : إعراب القرآن الكريم ، تح : خالد العلي،دار المعرفة ، لبنان ، ط2، 2008م ،ص 165.

تخدم غرضها وهو إعراب القرآن، وهذا ما سنراه في كتاب أبي جعفر النحّاس إعراب القرآن، ثمّ توالت المصنفات في هذا المجال، وحاول كلّ مؤلف أن يأتي بما عجز سابقوه عن الإتيان به، إلاّ أن استقرت على نهج وموضوع واحد فصارت هذه الكتب تخصّ بيان إعرابه والكشف عن وظائفه النحوية وصولا إلى معانيه وقلّ أن تعرض لمعانيه أو تفسيره، فهي تتناول الجانب النحوي فقط ممّا تتناوله كتب المعاني؛ إذ تتناول المعرب من آن سورة سورة، فتعربها وتبيّن الحكم الإعرابي للمفردات والجمل أو يبيّن الغامض المشكل من ذلك (...) ولا تتعرض هذه الكتب للمعاني إلاّ بقدر ما تقتضي به الصناعة النحوية، وتبعا لها وفي أضيق الحدود »[1]، فصار الدارس يرجع إلى كتب إعراب القرآن ليطّلع على إعراب الآيات القرآنية ووظائفها النحوية، ويمكن القول إنّ هذه الكتب قد أثرت الدراسات النحوية والقرآنية على حدّ السواء، فالدارس للنحو والمشتغل عليه يحتاجها في مجاله، كما لا يستغني المفسّر والفقيه من الارتشاف من نبعها في بيان معنى الآية، أو استخراج حكم شرعي منها، ولعلّ هذا ما ستوضحه المراحل اللاحقة من بحثنا.

وخلاصة القول أنّ إعراب القرآن الكريم لم يكن واضح المعالم مستقلّ التأليف في بداياته الأولى، وكان صنيع أبي الأسود بنقطه للقرآن بمثابة حجر الزاوية الذي حاول من جاء بعده بناء أعمدة هذا الفنّ، والذي كان يتردد بين ثنايا كتب النحو الأولى، التي يمكن اعتبارها كمرحلة طفولة له، واتّحد مع المعنى كي يبين بشكل كبير عن معاني القرآن، فكانت ثمرة هذا الاتحاد ظهور كتب المعاني، إلى أن استقل وأصبحت له كتبه الخاصة وضوابط لابد من التزامها عند الشروع في إعراب القرآن الكريم.

المطلب الرابع: ضوابط إعراب القرآن الكريم:

ليس من السهل على أي كان إقحام نفسه في غمار إعراب القرآن، إلا من كان متفهما لمعانيه، عارفا بدقائق اللغة وأسرارها ونظامها، لأن القرآن نزل وفقا لسننها، لذلك لابدّ من أن يكون متطلب إعراب القرآن مدركا أن لهذا النّص خصوصية تجعل معرِبه يتقيّد بجملة من القيود التي تكفل له النجاح في مسعاه، وتبلّغه مقاصده، ملتزما بذلك مجموعة من الضوابط والأسس التي تعينه على إعراب سليم لا ينافي المعنى، الذي نزلت الآية القرآنية لتعبّر عنه، وقد جاء الحديث عن هذه الضوابط والآداب والحثّ على الالتزام بها في العديد من

[1] محمد عبد الله بن حمد السيف:الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم، ص75.

الكتب، من ذلك ما أورده السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" في باب "في معرفة إعرابه "، حيث بلغت عنده هذه الشروط عشرا نذكرها على الترتيب الذي وردت به في هذا الكتاب ثمّ نعمد إلى شرحها تباعا كما يلي[1]:

- أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعرب مفردا أو مركبا قبل الإعراب .
- أن يراعي ما تقتضيه الصناعة فربّما، راعى المعرب وجها صحيحا ولا ينظر في صحة الصناعة فيخط.
- أن يكون ملمّا بالعربية لأن لا يخرج على ما لم يثبت .
- أن يتجنب الأمور البعيدة والوجوه الضعيفة واللغات الشاذة،وأن يُخرّج على القريب و الفصيح .
- أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة .
- أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب،ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط.
- أن يراعي في كل ترتيب ما يشاكله، فربّما خرّج كلاما على شيء،و يشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه .
- أن يراعي الرسم .
- أن يتأمل عند ورود المتشابهات.
- أن لا يخرّج على خلاف الأصل، أو على خلاف الظاهر لغير مقتضٍ.

قد حرص العلماء على التقعيد لهذه الضوابط بالحصر و التمثيل، و ألزموا أنفسهم وكل معرب للقرآن بتطبيقها، وذلك لأنّهم ليسوا أمام نص بشري عادي، والخطأ في إعرابه يؤدي إلى تحريف المعاني، والخروج عن المقاصد التي جاء بها القرآن الكريم، فإن كان المعرب قد عرض للنّص القرآني بالإعراب، فإنّما كان غرضه هو توضيح المعاني لمن قد تخفى عليه، لذلك عليه أن يتريث في إعرابه، ويقف مليّا أمام الآية متدبرا معناها حتى لا ينقل إلى القارئ الذي يخفى عليه وجه الآية، معنى خاطئا، ومن الآيات التي يتوقف إعراب لفظ فيها على

[1] جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة،1974، ج4، ورد تفصيل ذلك من ص 1220 إلى 1233.

تحديد المعنى ، قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾[سورة النساء، الآية :12]. فلفظ "كلالة" منصوب من أربعة أوجه[1]:

الأول :أن يكون منصوبا على الحال من الضمير في﴿يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ ؛أي يورث في هذه الحالة .

الثاني :أن يكون منصوبا على التمييز ، والمراد بالكلالة في هذين الوجهين الميّت .

الثالث :أن يكون منصوبا لأنّه صفة مصدر محذوف وتقديره "يورث وراثة كلالة والمراد بالكلالة في هذا الوجه هو المال .

الرابع :أن يكون منصوبا لأنّه خبر كان،والمراد بالكلالة في هذا الوجه اسم الورثة، والتقدير فيه ذا كلالة.

فالكلالة هاهنا تحمل ثلاثة معان هي : الميّت والمال والورثة، وتبعا لهذا التنوع واختلاف الأعاريب تتعدّد دلالات الآية تعددا لا يخل بها، بل يعكس وجها من وجوه إعجاز ألفاظ القرآن وآياته .

كما أن معرب القرآن ينبغي أن يكون متأكدا أنّ الإعراب الذي ارتآه، لابدّ أن يكون متوائما والمعنى القرآني، متفقا مع القواعد التي وضعها النحاة، فإنّ اعتبر لفظة أو جملة ما في محل نصب حال، أو مفعولا به ، أو غير ذلك، فعليه أن يتأكد أنّ اللفظة موافقة لقاعدة الحال أو المفعول به أو إعراب آخر، و إلاّ سيجيء إعرابه مخالفا لعرف اللغة العربية وقواعد النحو، فيكون بذلك قاصرا، ومثال هذا الضابط قول بعضهم في إعراب ثمود من قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[سورة النجم،الآية: 51]،المفعول مقدم وهذا لأنّ لما النافية الصدر، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على عاد أو على تقدير وأهلك ثمود[2]،بإضمار فعل معطوف على الفعل المذكور.

[1] أبو البركات كمال الدين بن الأنباري :البيان في إعراب غريب القرآن ، تح : طه عبد الحميد طه ،مصطفى السقا، الهيئة المصرية للعامة للكتاب ، مصر ، 1980 م، ج1، ص 245 .

[2] جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن ، ج 4، ص 1222.

بما أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وراعى سننها في الكلام، فلا بّد أن يتقن المعرب هذه اللغة، ويغوص في مكنوناتها، لكي يتجنب الوقوع في الانزلاقات والأخطاء، التي لا تغتفر في حق نصٍّ كفل له الله القدسية، وتكفل بحفظه عبر الأزمان، وكون إعراب القرآن إبانة عن معانيه المختلفة، فقد غالى بعض المفسرين في الدعوة إلى التمسك به وتجلى ذلك من قول الشاطبي:« لابد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها: كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي، والمازني، ومن سواهم»[1].فإن لم يكن المشتغل بإعراب القرآن على دراية واسعة بلغة العرب وأساليبها في التعبير لم يستطع أن يحدد الوجوه القريبة من البعيدة، فهذا لا يدركه إلاّ بصير باللغة عارف أن قواعد العربية لم تبن على الشّاذ، ولم تعتمد عليه إلاّ عندما يكون هذا الشّاذ هو الاحتمال الوحيد المتاح أمامها، والمستعمل عند عامة العرب، وإن أراد معرب القرآن أن يعرض لمختلف الوجوه الإعرابية، قريبها وبعيدها، قويها وضعيفها، وشاذها ومطّردها، بغرض تفصيل القواعد لطلاب العلم، فليس النّص القرآني مجالا للاجتهاد غير المؤسس في تكثير الوجوه الإعرابية، أو الميل إلى اعتقاد رأي ما دون دليل قوي، لأن معرب القرآن أمام نص تحقق فيه إعجاز المعنى واللفظ، من خلال عدة وجوه لعل من بينها منها: تعدد الاحتمالات الإعرابية للّفظة الواحدة، وهذا الضابط يستدعي ضرورة استيفاء جميع الوجوه الإعرابية المحتملة؛ لأنها جميعا يمكن أن تكون صائبة، وتخدم قضية تعدد المعنى القرآني، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[الآية: 125]، إذ يمكن أن تكون مصلّى «مفعول اتخذوا ووزنه مُفعل، وهو مكان ويجوز أن يكون مصدرا، وفيه حذف مضاف تقديره مكان مصلى؛ أي مكان صلاة .»[2] ولا ننسى أن المعرب لم يبين إعراب لفظة، إلاّ بعد أن تبيّن له ثبوت ذلك الإعراب وصحته حقيقة، لتوفر شروط تحملها هذا اللفظ، فانتمى بذلك إلى باب دون غيره، ويمكن أن يضم هذا الضابط لضابط "مراعاة ما تقتضيه الصناعة" بعبارة السيوطي آنفة الذكر.

ممّا لاشك فيه أنّ القرآن الكريم كتب وفق رسم معين، لا يجوز مخالفته بأي شكل من الأشكال حتى أنّه أحد ضوابط القراءة الصحيحة، التي أقرها العلماء، لذلك ينبغي على معرب القرآن أن لا يتبع هواه ويسير خلف نظرته متناسيا أنّ الرسم يلعب دورا أساسا في ضبط الكلمات المتصلة والمنفصلة، وتمييز حركتها تبعا للقراءة التي كتب على منوالها المصحف، وعندما لا يراعي المعربون هذا الضابط يقعون في الغلط، وينحرفون عن جادة

[1] مصطفى جمال الدين: البحث النحوي عند الأصوليين، ص51.

[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ،ج4،ص 1231.

الصواب«ومن ثمّ خُطّئ من قال في ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾.[الإنسان ، الآية :18] إنّها جملة أمرية أي سل طريق موصلة إليها؛ لأنّها لو كانت كذلك لكُتبت مفصولة »[1] هكذا: سلْ/ سبيلا.ويمكن ردّ هذا الرأي من خلال الرجوع إلى سياق الآية، والذي ينقضه تماما،إذ هل يعقل القول وعينا فيها تسمّى سل سبيل بالفصل، أي: اسأل طريقا، وهذا عدا عن كون الرسم الصحيح بخلافه أيضا.

وهناك أبواب في النحو تحمل من التشابه فيما بينها وجوها كثيرة، وهذا ما قد يودي إلى الخلط بين مفاهيمها ومسائلها،كأن يشعر المعرب إزاء لفظة بأنّها تعبّر عن إشكال متعلق بكونها مثلا حالا أو مفعولا به والوجهان كلاهما يتنازعان تفكيرَه، ويبدوان له صحيحين لكنّه عند التدقيق والتمحيص يكشف صلاحية أحد الإعرابين وفساد الآخر، وما كان ليحصل له هذا التمييز، لولا التأمل المطول وتقليب اللفظة على كلّ الوجوه المتشابهة ليتم عقب ذلك الوقوف عند الإعراب الصحيح وإثباته ونفي الأوجه الأخرى؛ لأنّها مشتبهات لا غير، ما حصل مع معربي القرآن في لفظة"**أحصى**" من قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾[سورة الكهف، الآية12]بين كونها اسم تفضيل وما بعدها تمييز، أو فعلا ماضيا وما بعدها مفعولا به، وهذا ما أقره السمين الحلبي(ت756هـ) في كتابه (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) حيث يقول: «أحصى يجوز فيه وجهان أحدهما: أنّه أفعلُ تفضيلٍ، وهو خبر لأيّهم لما لبثوا حال من﴿أَمَدٗا ﴾(...) والوجه الثاني: أن يكون ﴿أَحۡصَىٰ ﴾فعلا ماضيا، و﴿أَمَدٗا ﴾ مفعوله،﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ ﴾ متعلقا به، (...)وأختار الأول أي أعني كون ﴿أَحۡصَىٰ ﴾للتفضيل»[2] وقد جاء اختياره لهذا الوجه الإعرابي بعد أن أعمل فكره فيه بعرض الوجوه المحتملة، وبعد ذلك اجتبى ما رآه صائبا، ليأتي الزمخشري ويعيب ما ذهب إليه في إعرابه متبنِّيا الوجه الثاني، الذي يفيد أنّ ﴿أَحۡصَىٰ ﴾فعل ماض، حيث يقول في هذا الصدد:« فما تقول فمن جعله من أفعل

[1] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ،ج4، ص1233.

[2] أبو العبّاس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق،ج7، ص 448-449.

التفضيل، قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك أنّ بناءه من غير الثلاثي لا يخلو: إمّا أن ينتصب بـ"أفعل" فأفعل لا يعمل، وإمّا ينصب بـ"لبثوا" فلا عليه المعنى».[1]

وكما أنّ هناك ألفاظا تثير شبهة في وجه إعرابها، ممّا يستلزم التريث قبل إقرار صحة أحد الوجهين،كما أنّ هناك ألفاظا أخرى قد تحتوي على حروف زائدة تجعل الإعراب صعبا مع عدم تحديدها، وتوقع في اللبس هي الأخرى، وهذا ما يستوجب على معرب القرآن، أن يكون مثقفا ثقافة صرفية تؤهله لتحديد الزائد من الأصلي في اللفظة، وبالتالي يسهل الإعراب وينتفي اللبس والغموض.

إذا كان الإعراب يقتضي شيئا ما والمعنى يخالفه وجب الخضوع للمعنى قبل المبنى وهذا ما أكّد عليه ابن جنّي في (الخصائص) ضمن "تجاذب المعنى والإعراب"، حيث يقول :«وذلك أنّك تجد في الكثير من المنظوم والمنثور الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه، فمتى اعتور كلاما أمسكت عروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب »[2]، وذلك لأنّ المعاني القرآنية هي حقيقة منزلة من عند الله ولا مناص من اليقين بصدقها ،أمّا الإعراب فهو، رغم سعي العلماء إلى جعله فنّا متكاملا، إلاّ أنّه يبقى صنعا بشريا قد يعتريه النقص بأي شكل من الأشكال، وإذا تعارض البشري مع الإلهي، فإتباع الإلهي أولى وأجدى نفعا، ومثال تجاذب الإعراب والمعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝8 يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [سورة الطارق، الآية:08] فمعنى هذا أنّه على **رجعه لقادر** فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطئا؛ لفصلك بين الظرف الذي هو يوم تبلى السرائر وبين ما هو معلق به من المصدر، الذي هو الرجع والظرف من صلته الفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز، فإذا كان المعنى مقتضيا له والإعراب مانعا منه، احتلت له بأن تضمر ناصبا، يتناول الظرف ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل حتّى كأنّه قال في ما بعد يرجعه يوم تبلى السّرائر ودلّ﴿رَجۡعِهِۦ﴾على يرجعه دلالة المصدر على فعله»[3].

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود،مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م،ج3، ص567-568.

[2] ابن جنّي : الخصائص ،ج3، ص 255.

[3] بن جنّي : الخصائص،ج 3، ص 255-256 .

وبالمختصر فمتى وضع المعنى في كفة، والإعراب في كفة ثانية رجحت كفة المعنى؛ لأنّه من الإعراب لاسيّما إذا تعلق الأمر بإعراب القرآن، لأنّ الأولى أن تخضع القواعد الموضوعة بالنص القرآني وليس العكس.

كما أكّد ابن الأنباري في كتابه (إيضاح الوقف والابتداء) على أنّه من الواجب على معرب القرآن معرفة مواضع الوقف وأنواعه عند التطرق لنص القرآن بالإعراب، «فمن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه »[1] ، وذلك أنّ المعرب متى أخطأ فوقف على موضع لا يجوز فيه وقف، ثمّ ثنّى ذلك فأخطأ في تحديد نوع الوقف، فإنّه سيترتب عن هذين الخطأين، بالتأكيد الخطأ في إعراب اللفظة التي وقف عليها وربّما التي تليها .

ويتضح ممّا سبق أنّ الإعراب إذا ما تعلق بالقرآن فإنّه يصبح من الأدوات التوضيحية التي تزيد المعنى جلاء وما وضعت الضوابط السابقة التي ذكرت إلا حرصا من العلماء على الأداء الصحيح لألفاظ القرآن، وحتى يفتح باب الاجتهاد في إعراب القرآن على مصرعيه لمن أراد التأوّل على هواه وذلك لأنّ هذه الضوابط بنيت على ما قال به المعربون الأوائل .

المبحث الثاني : أهمية إعراب القرآن وصلته بالعلوم الأخرى:

أولا: أهمية إعراب القرآن وفائدته:

من أعظم العلوم وأشرفها ما كان متعلقا بكتاب الله تعالى، ويكفيها شرفا أنّها تخوض في كلام الله عزّ وجل، من أجل كشف أسراره، وبيان مكامن الفصاحة والإعجاز فيه؛ ولأنّ القرآن خالدٌ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والتالي قُدِّر لتلك العلوم المتصلة به الخلود، ويعدّ الإعراب مفتاحا من لما أُغلق فهمه من معاني القرآن الكريم، وأهم العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم منذ بداية تنزل الوحي، على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تبوأ الإعراب مكانة مرموقة بين أبناء اللغة من نحاة وفقهاء ومفسرين، حيث حاول كل طرف استثماره في مباحثه ودرسه.

[1] أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تح: محي الدين عبد الرحمان رمضان،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1971 ، ص 108 .

وقد كثرت الآثار والراويات التي تحكي الحث على الإعراب في القرآن الكريم، فيروى صاحب (الجامع لأحكام القرآن) بعض الأحاديث التي تثمّن هذا الأمر في كتابه تحت عنوان باب ما جاء في **إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه**، فيذكر عن ابن مسعود أنّه قال:«جوّدوا القرآن، وزيّنوه بأحسن أصواتكم وأعربوه، فإنّه عربيّ والله يحب أن يُعرب به.[وفي حديث آخر]أنّ أبا بكر وعمر بن الخطاب قالا: لبعض إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ حروفه »[1] .وقد سلك المتأخرون مذهب القدماء في الحثّ على إعراب القرآن الكريم والإشادة بأهميته، فهذا مكّي القيسي يشترط في طالب العلم الإحاطة بزمام الإعراب إذ يقول: «ومن أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، ليكون سالما من اللحن فيه، على أحكام اللفظ مطّلعا على المعاني، التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله به من عباده فبمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب »[2]. ويذهب "ابن عطيّة" في هذه المسألة إلى أبعد من ذلك في رفع شأن الإعراب بأن قرنه بأصول الشريعة، بل جعله أصلا منها بقوله:«إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأنّ بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع »[3].لأنّ معرفة الشرع لا تتأتى إلا بمعرفة اللغة وقواعدها ويكون الإعراب بمثابة الدليل إلى المعاني.

ولما كان الإعراب دليلا على المعاني والمميّز بينها، فكان اهتمام العلماء من نحاة ومفسرين به أكثر، فتراهم في دراساتهم للقرآن الكريم وتراكيبه، يرجعون إليه إذا أشكل عليهم شيء من معانيه، ردّوه إليه لأن الإعراب فرع المعنى فـ«تقدير معنى الآية الشريفة وإعرابها يتوقف أحدهما على لآخر، وأنّ الخطأ في تقدير الإعراب قد يؤدي إلى الخطأ في المعنى »[4]، وهنا تكمن الخطورة، وتجنبا لذلك شبّت دعاوي الحفاظ على إعراب القرآن الكريم .كما يضيف صاحب (تأويل مشكل القرآن) في معرض حديثه عن اللغة العربية وإحصاء مميّزاتها، ما نصّه :«ولها

---

[1] أبو عبد الرحمان محمد بن أحمد بن أبي القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن المبيّن لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان ، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت– لبنان ، ط1، 2006 م، ج1، ص43.

[2] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، تح :حاتم صالح الضامن،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984، ص 63 .

[3] أبو عبد الحق القاضي بن عطّية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1، 2001 م، ج1، ص 40.

[4] أبو البقاء العكبري: إعراب القراءات الشواذ ،تح : محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، لبنان ، ط1، 1996 ،ج1، ص 9.

الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمختلفين؛ كالفاعل والمفعول لا نفرق بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلاّ الإعراب»[1].هذا في الكلام العادي فما بالك بالكلام الإلهي، فلولا الإعراب لاختلط على الناس ليس معانيه وحسب، بل يتعدى ذلك استشكال قراءته القراءة الصحيحة التي تهدي إلى معناه المراد، خاصة مع تقدم الزمن، ولهذا حرص المسلمون على استقراره، فهو معلم من معالم اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية، وأي مساس به هو مساس القرآن الكريم وبتراث أمة كاملة، و لا يزال الإعراب جسرا يربط بين ماض قد انقضى، وحاضر مستمر لم ينقض، وإذا هُدم هذا المعلم تعذرت الاستفادة من النتاج الفكري للسلف.

وهناك من العلماء من عدّ إعراب القرآن نوعا من أنواع علوم القرآن وهذا صنيع "السيوطي" في كتابه الإتقان حيث خصص النوع الحادي والأربعين من علوم القرآن في معرفة إعرابه ذاكر في ذات السياق بعض فوائد هذا النوع والمتمثلة في كونه يميّز المعاني ويوقف يقف على أغراض المتكلمين[2].

ويمكن إجمال **فوائد هذا الفنّ** في ما يلي:[3]

1- خدمة تفسير القرآن الكريم:

يعد النحو بصفة عامة والإعراب على وجه الخصوص أحد الأدوات الضرورية التي يعتمد عليها المفسّر لكتاب الله ذلك أنّ الاختلاف في المعنى يودي إلى اختلاف الإعراب والعكس صحيح وسيتم توضيح هذه القضية في مراحلنا اللاحقة في نطاق صلة إعراب القرآن بالتفسير .

2- الوقاية من اللحن في قراءة القرآن الكريم:

ممّا لا على خفاء له على أحد هو أنّ نشأة النحو كانت من منطلق قرآني، ومن أجل خدمته وصونه من اللحن المتفشي على الألسن، فالقارئ للقرآن العارف بدقائق الإعراب يتجنب اللحن في كلام الله وهذه هي الغاية من وضع النحو والإعراب، فالقارئ للقرآن الكريم لابد له من التركيز والتثبت أثناء قراءته، فخطأ بسيط في

[1] عبد الله بن مسلم بن قتيبة :تأويل مشكل القرآن ،تح : السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط2، 1973 ، ص 18.

[2] السيوطي: الإتقان في إعراب القرآن،ص 1219.

[3] ينظر :هانئ الفرنواني :في أصول إعراب القرآن، دار الوفاء، الإسكندرية ، ط1، 2006 ، ص 20-23 .

الحركة الإعرابية في اللفظ يؤدي إلى تحريف المعنى وتغييره؛ ولأنّ القراءة مع اللحن هي قراءة لا ثواب عليها، فكان من ثماره حفظ اللسان ومن الوقوع في اللحن أثناء قراءة القرآن.

3- إثراء الدراسة النحوية:

من المعلوم أنّ القرآن الكريم كان له الفضل العظيم في إثراء الدراسات العربية، وكان النحو الأوفر حظا من بينها، وجاء إعراب القرآن ليُثمّن هذا الثراء كونه تطبيق صريح ومباشر لقواعد النحو النظرية في كتاب هو الأفصح على الإطلاق، فقد احتوى مختلف القضايا النحوية والآراء والمدارس وأبرز مختلف المناقشات والتأويلات، وممّا ساهم أيضا في إثراء النحو، من خلال إعراب القرآن نجد القراءات القرآنية، التي فتحت بابا واسعا للنقاشات النحوية في سبيل توجيهها معتمدين في ذلك على قواعد النحو والإعراب .

ثانيا : صلة إعراب القرآن ببعض العلوم الشرعية:

لقد شكّل القرآن الكريم للعلماء والباحثين مرجعا يعودون إليه، ومنطلقا ينطلقون منه، فهو النّص المؤسس للحضارة العربية الإسلامية، والجامع لكل الجهود العلمية والفكرية، لذا دارت حوله مختلف العلوم والأبحاث، رغم اختلاف مرجعية هذه العلوم وتنوّع مواضعها وحقولها المعرفية، الشيء الذي جعل هذه العلوم منصهرة في بناء واحد، فكما يقول ابن حزم في رسالته الموسومة ب(مراتب العلوم)« أنّ العلوم كلها متعلق بعضها ببعض ومحتاج بعضها إلى بعض »[1]. وقد شغلت قضية تداخل العلوم الكثير من العلماء وحاولوا الترصد لأسباب هذا التداخل حيث يقول علي شواخ إسحاق: « وجدت الصلة كبيرة بين علوم القرآن وعلوم العربية، تتضح شيئا فشيئا، فمن الوقف والابتداء والهمز والتقاء الساكنين، والإمالة دخلت إلى أحرف القرآن ولغاته ومحكم قراءاته، ومن البحث في غريب القرآن ومعانيه خرجت إلى علم دلالة الألفاظ في العربية (...) ومن البحث في التفسير وأثر الألفاظ المتباينة المعاني وجدت نفسي أمام إعراب القرآن لمعرفة المراد »[2].ومنه يكون إعراب القرآن مندرجا ضمن سلسلة متصلة من العلوم يخدم بعضها بعضا ويسدّ ثغرات بعض الفجوات في العلوم الأخرى، ممّا ينتج عنه هذا التعالق بين العلوم، وهذا راجع كما أسلفنا إلى محورية النص القرآني، والثقافة العربية

[1] ابن حزم الأندلسي : مراتب العلوم ، تح : إحسان عبّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1983 م، ص 26.
[2] علي شوّاخ إسحاق :معجم مصنفات علوم القرآن ،دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1983م، ص 16.

الإسلامية، التي يعد علم الإعراب أهم العلوم التي تشابكت قضاياه مع مختلف الفروع المعرفة اللغوية والشرعية خاصة المتعلقة بالقرآن الكريم، أو ما يعرف بعلوم القرآن إذ تداوله النحاة والفقهاء والمفسرون في مؤلفاتهم وهذا ما ينبئ عن الصلة الوثيقة بين هذا الفن وباقي العلوم.

1- صلة إعراب القرآن بعلم التفسير:

إذا كان الإعراب هو الإبانة والإفصاح عن المعاني، فإن التفسير لا يبتعد كثيرا عن هذا المفهوم، ويعرّف على أنّه:« علم يفهم به كتاب الله وذلك ببيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه »[1]، فالملاحظ أنّ كل من الإعراب والتفسير يلتقيان في بعض النقاط وأهمّها: أنّ كلاّ منهما يهدف إلى كشف وإيضاح آيات القرآن الكريم، وإن اختلفت طريقتهما، وأنّهما معا يكملان بعضهما في تبيان كتاب الله ، فإذا كان تفسير النّص القرآني ضروريا لفهم تركيب كلماته وآياته، وبالتالي فهم المعاني والمرامي من كلام الله، فإنّ علم الإعراب لا يقل أهمية وضرورة عن علم التفسير، ذلك أنّ التعامل مع كلام الله (النص القرآني) إعرابا وإيضاحا يختلف كثيرا عن كلام البشر؛ لأن القرآن الكريم كلام الله عزّ وجلّ الذي بلغ ذروة الفصاحة والبلاغة،والقمة في الرقي والجمال ،لذلك يجب أن يكون إعراب القرآن الكريم منزّها عن الأعاريب البعيدة والتقادير والتراكيب القلقة[2] إذ أنّ إعراب الآية الكريمة وتقديرها ،في الغالب، يكون معاضدا لمعناها وتفسيرها.كما أنّه «على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره، النظر إلى هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو جواب ، أو غير ذلك »[3].وهكذا تتجلى أهمية إعراب القرآن الكريم وأنّه لا يمكن للتفسير الاستغناء عن الإعراب.

ويدلي صاحب (جامع البيان) "الإمام الطبري" عن قصده من تأليف كتابه في التفسير المعنون بالكشف عن تأويل آي القرآن وبيان وجوهه، وأنّ ما تعرض له من الإعراب وسيلة لتحقيق ذلك يقول:«وإنّما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه، وإن كان قصدنا في الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن بما في اختلاف

---

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي:البرهان في علوم القرآن ،تح : أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،بيروت، ط1، 1957 م ،ج1، ص 13 .

[2] أبو حيّان محمد بن يوسف الشهيد الأندلسي:تفسير البحر المحيط ،تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1، 1993 ،ج1، ص 103.

[3] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص 302.

وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله، فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه لتنكشف لطالب وجوه تأويله، على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءاته »[1]، سبق تتّضح صلة الإعراب الوثيقة بتفسير القرآن الكريم، وأنّ الاختلاف في تفسير الآية يحتاج إلى الإعراب، وبيان وجوهه ليستقيم المعنى ويتحدّد المراد، وتتضح بذلك وجوه التأويل، ويجوز اعتبار الإعراب «وسيلة من وسائل فهم القرآن وطريقا إلى تحليل تراكيبه لإصابة المعنى الصحيح، وعدم الزّيغ في التفسير؛ فلولا الإعراب ومعرفة قواعده، ما كان لنا أن نفهم معاني القرآن المبين، ولا أن ندرك مواطن جماله ومحالّ بلاغته وإعجازه »[2] .ويمكن توثيق الصلة بين هذين العلمين بالالتفات إلى كتب معاني القرآن، والتي مازجت بينهما في تناولها للقرآن الكريم –كما أسلفنا– وأن إعراب القرآن كما فرع من فروع التفسير .

ويمكن أنّه من مظاهر صلة الإعراب بالتفسير، اشتراط العلماء في المفسّر معرفة النحو، وقد أوضح "السيوطي"هذه الشروط في نص طويل يبيّن ما على المفسر لكتاب الله امتلاكه من صحة اعتقاد، لزوم صحة القصد وكان ختام هذا النّص قوله :«وتمام هذه الشروط أن يكون ممتلئا من عدّة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنّه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله »[3]، ويمكن أيضا الاستدلال بنص الإمام الغزالي، الذي يجلّي فيه أهمية هذه الصلة بقوله: «ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويله الأخبار ويصيب في كلامه، فيجب عليه أولا تحصيل علم اللغة والتبحر في فنّ النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب والتصرف في أصناف التصريف .»[4].

فتفسير آي القرآن الكريم يستلزم حضور الإعراب فيه، ذلك أن الاختلاف في إعراب الآية يؤدي إلى الاختلاف في تفسيرها، وقد تناول بعض العلماء قضية التفريق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب، حيث يشير السيوطي في كتابه (الإتقان) فيقول: قد يقع في كلامهم [أي المفسرين] هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب والفرق بينهما : أنّ تفسير الإعراب لابّد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضرّه مخالفة ذلك، وإلى

[1] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري :جامع البيان عن تأويل آي القرآن تح: بشار عواد معروف ،مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ط1،،1994 ، ج1، ص 175 .

[2] باسل عمر مصطفى المجايدة ، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، قسم التفسير وعلوم الدين ،كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2009. ص 88.

[3] جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن ، ص 2221.

[4] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي :الرسالة اللدنية ،مطبعة كردستان العلمية ، مصر ، ط2، 1328هـ ، ص 34.

هذا أشار ابن جنّي في كتابه (الخصائص) حيث عقد بابا بعنوان بين "تقدير الإعراب وتفسير المعنى" فقال : «فإذا مرّ بك شيء من هذا عن أصحابنا، فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححّت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشذّ شيء منها عليك، وإيّاك أن تسترسل، فتفسد ما تُؤثر أصلاحه»[1]، وهذا ما نبّه عليه السيوطي بقوله :« وقد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد، بأن يوجد في الكلام أنّ المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه، والمتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصح الإعراب »[2]، وهذا القول يشير إلى قضية في غاية الأهمية، هي أنّه مهما تبوأ الإعراب من أهمية بالغة في التفسير، إلاّ أنّنا لا يمكن أن نجعله الأساس إذا تعارضا في بعض الآيات القرآنية، بل يجب أن نعتمد التفسير ونحفظه؛ لأنه متواتر عن الرسول والصحابة والتابعين، بينما الإعراب هو اجتهاد من العلماء والنحاة، وهذا ما نستشفه من قول ابن جنّي من ضرورة تقبّل التفسير كما هو، وعدم إخضاعه للقواعد الإعراب، فالمقدّم هو المعنى ويتصرف في الإعراب ليُناسب المعنى الصحيح.

ويمكن أن نضرب مثالا عن تداخل الإعراب مع التفسير من سورة البقرة، فإعراب قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾[سورة البقرة ، الآية :25] فإعراب﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾يحتمل وجهين[3]:

الأول : (هذا) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ،و (الذي) اسم موصول في محل رفع خبر .

والثاني : (هذا) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، و(الذي) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" فمعنى الوجه الأول هو أن الثمرة التي يرزقون بها في الجنّة التي رزقوا بها في الدنيا؛ أي من جنسها ووصفها، فهي متشابهة في

[1] ابن جنّي : الخصائص ،ج1، ص 279.

[2] السيوطي : الإتقان ، ص 2245 .

[3] هديل محمد عطية، يوسف المينراوي: أثر اختلاف الإعراب في تفسير المعنى دراسة تطبيقية رسالة مقدمة لاستكمال لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، قسم التفسير وعلوم القرآن ،كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2009 م، ص 61 .

الشكل والمنظر ومختلفة كلّ الاختلاف في الحسن واللّذة، أمّا معنى الوجه الثاني فيفيد أنّ الثمرة هي عينها وذاتها التي رزقوا بها في الدنيا، أي قالوا: هذا هو الذي رزقنا من قبل.

فانظر كيف اختلف تأويل هذه الآية باعتبار اختلاف إعرابها، وذلك أن الاختلاف في الإعراب يؤدي إلى اختلاف المعنى، الذي هو مناط عملية التفسير أو العكس، إذ كان اختلاف التفسير أيضا يؤدي إلى اختلاف الإعراب، ذلك أنّهما متصلان فيما بينهما، وإلا لما اعتمد المفسرون الإعراب كأداة في إيضاح المعنى.

2- صلة إعراب القرآن بالقراءات القرآنية:

إنّ صلة إعراب القرآن الكريم بالقراءات القرآنية تضاهي صلته بالقرآن نفسه؛ ذلك لأن القراءات القرآنية في أبسط تعريفاتها هي كيفيات وطرق لأداء ألفاظ القرآن الكريم[1]، ويمكن القول إن إعراب القرآن، هو إعراب للقراءات القرآنية، ويكفي في بيان الصلة بينهما، أنّها كانت منذ نشأة النحو العربي، إذ إنّ «النحاة الأُوَل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قرّاء، كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس والخليل، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجّههم إلى الدراسة النحوية ليُلائموا بين القراءات والعربية »[2]، وهذا يشير بوضوح إلى أنّ القراءات القرآنية أثرت فيما جاء به النحاة والمعربون للقرآن الكريم، فقد استعان بها النحاة كنصّ صريح في الاستدلال على القواعد النحوية، وشاهدا على صحتها « إذ يعتبر القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والصحيحة و الشاذة أصلا أصيلا بالنسبة للنحو العربي، فقد ارتبط النحو بالقرآن ارتباطا لا ينفك ولن ينفكَّ»[3] ،كما يقرّ ابن الجزري (ت 833هـ) أنّ من شروط صحة القراءة موافقتها لقياس لغة العرب يقول:«كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها »[4]

ورغم كل هذه الأهمية التي تحظى بها القراءات في الدرس النحوي، إلاّ أن الاعتداد بها –حسب رأي عبد العال سالم مكرم– قد تأخر إلى أن نضج النحو واستوى، يقول «ولما استقرت قواعد النحو مسجلة في الكتاب، وظهرت المدرسة البصرية ثمّ الكوفية، اتّجه النحاة إلى القراءات آخذين منها ما يؤيد وجهة نظرهم من جهة، ورافضين

[1] ينظر:أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان،ج1، ص34.
[2] عبد العال سالم مكرم :أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،ص 55 .
[3] محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة ،عالم الكتب ،القاهرة، ط3، 1988م ، ص 200.
[4] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر،ج1 ،ص 9.

ما لم يقبله القياس، أو يتّفق مع الأصول من جهة أخرى »[1]، إذ حاولوا تطويعها لقواعدهم النحوية، فكان أن وجّهوها تبعا لأصولهم، وكان هذا سببا لظهور ما عرف بالتوجيه النحوي والإعرابي للقراءات القرآنية.

وقد فاضل العلماء بين القرّاء والمقرئين من حيث علمهم وتبَحُّرُهم في العربية، التي قوامها الإعراب، فيقول ابن مجاهد(ت324هـ) «فمن حملة القرآن المعْرِبُ العالم لوجوه الإعراب والقراءات، والعارف باللغات ومعاني الكلام،البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن»[2]، فالمقرئ في أثناء قراءته وكذا تلقينه القراءة لطلابه، لابّد أن يعي تلك الاختلافات بين القراءات، والتي يعدّ الاختلاف الإعرابي لألفاظ القرآن أحدها، كما أنّ المطّلع على كتب إعراب القرآن يلحظ ذلك الحضور القوي للقراءات، وهذا إن دلّ على شيء فإنما هو دالٌّ على صلتها الوثيقة به، إذ«لا تخلو كتب إعراب القرآن ومقدماتها من الإشارة إلى أن يكون المشتغل بعلوم القرآن وقراءاته على دراية كافية بعلوم اللغة عامة والإعراب خاصة،وتكمن أهمية القراءات في الدرس النحوي في أنّها خير للغات واللهجات بفضل عناية القرّاء وتدقيقهم في الضبط وتخريجهم في التلقي،فاحتوت مختلف التغيرات الإعرابية التي تطرأ بتغيّر القبائل»[3]، وهذا ما وجّه النحاة إلى تدارس القراءات القرآنية من وجهة إعرابية، مراعين مختلف التغيرات التي تنجم عن اختلاف الإعراب باختلاف القراءة، فلعل «من الواجب عند إعراب القرآن أن ينظر إلى سائر القراءات في الآية الواحدة، فقد تحتمل الآية عدة أوجه من الإعراب »[4]، بحيث يحتمل كل توجيه معنى خاصّا به، لا يؤدّيه وجه آخر من القراءة، ويمكن أن نوضح ذلك بقوله تعالى:﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[سورة سبأ، الآية: 19] ، فقد وردت فيها قراءتان متطابقتان في الخط والرّسم: [5]

الأولى : برفع باء﴿ رَبَّنَا ﴾وإثبات الألف بعد باء باعد مع فتح العين مخففة وفتح الدال ؛أي رَبُّنا باعَد؛ وقرأ أيضا بتشديد العين دون ألف : بعَّد أي رَبُّنا باعَدَ على الفعل الماضي.

---

[1] أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، ص 55.

[2] ابن مجاهد: السبعة في القراءات ، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص45.

[3] نبيهة بنت عبد الله باخشيون: إعراب القرآن، قسم اللغة والنحو والصرف، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ص 13.وهي عبارة عن محاضرات ألقتها الأستاذة على طلبتها ونشرت بعد ذلك على شكل مقرر دراسي.

[4] هايءالفرنواني،في أصول إعراب القرآن دار الوفاء ، لبنان، 2006م، ص48.

[5] هديل محمد عطية ،يوسف المينراوي: أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، ص 33.

الثانية: بنصب باء ﴿ رَبَّنَا ﴾وإثبات الألف بعد باء (باعد) مع كسر العين مخففة وإسكان الدال؛ أي:ربَّنا باعِد على سبيل الدعاء.

وقد جاء في توجيه القراءة الأولى :(ربُّنا باعَد) أنّها جملة اسمية والخبر فيها الجملة الفعلية "باعد" وهذا الخبر صادر من القائلين على أنّه شكوى لبعد أسفارهم و ذلك إفراطا منهم في الترف وعدم شكر الله على ما أنعم عليهم، والثانية :(ربَّنا باعِد) حيث نصب (ربّنا) على النداء والفعل (باعِد) على أنّه فعل دعاء وطلب من الله أن يباعد أسفارهم[1]، فتغيّر القراءة يتبعه تغيّر في الإعراب، وهذا منطقي ذلك أن الاختلاف الحاصل في الآية واقع في الحركة الإعرابية، وكما نعلم فإنّ لكل حركة وظيفة نحوية، وهذا ما يمكن إسقاطه على الآية السابقة الذكر، ويكون بذلك إعراب القرآن الكريم خاضعا وتابعا للقراءات القرآنية المختلفة في أحيان كثيرة.

3- صلة إعراب القرآن بالفقه وأصوله:

سبق وأن تطرقنا إلى دلالة الإعراب عند الأصوليين، ونظرتهم إليه في كونه أداة من الأدوات التي يجب على الفقيه امتلاكها،كما أنّ اهتمامهم به كان في سبيل فهم معاني النص القرآني، وحتى يتسنّى لهم استخراج الأحكام الفقهية على أكمل وجه، والأمر الذي لا خفاء فيه على الدارسين، هو تلك الصلة الوثيقة بين علم الفقه وعلم النحو بصفة عامة، والإعراب على وجه الخصوص، ويمكن اعتبار الضوابط التي على المجتهد الفقيه اتباعها من قبيل هذه الصلة، ذلك أنّه من جملة تلك الضوابط أن اشترطوا عليه معرفة علم العربية، والمتمثل أساسا في النحو والإعراب، حيث يقول الأسنوي في هذا الصدد:«فإنّ علم الحلال و الحرام الذي به صلاح الدنيا والأُخرى، وهو المسمّى بعلم الفقه مستمد من علم أصول الفقه وعلم العربية »[2]، كونهما يرتبطان فيما بينهما، فأما **علم الفقه** فهو بتعريف مختصر:« العلم بالأحكام الشرعية والعملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، أمّا علم **أصول الفقه** فقد عرّفه الأصوليون بأنّه: العلم بأدلة الفقه الإجمالية وجهات دلالتها على الأحكام الشرعية »[3]، ويمكن أن نفهم من قول الأسنوي أنّ معرفة الحلال والحرام والأوامر والنواهي الموجهة إلى العباد من الله تعالى، مرهونة بمعرفة الأحكام الشرعية،

[1] هديل محمد عطية ،يوسف الميراوي : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، 33.

[2] جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي: الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية،تح: عبد الرّزاق السعدي،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الكويت ، ط1 ، 1984،ص 53.

[3] ينظر: عبد الرحمان خلاّف :علم أصول الفقه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، ط08 ، 1942 ، ص 11.

وسبيل معرفة هذه الأحكام، هو طريق اللغة وعلومها، ويضيف الأسنوي إلى ما قاله في تبيان العلاقة بين علمي النحو والفقه؛ إذ يقول :« فأمّا استمداده من علم الأصول فَواضحٌ، وتسميته بأصول الفقه ناطقة بذلك، وأمّا العربية فلأنّ أدلته من الكتاب عربية، وحينئذ فيتوقف فهم تلك الأدلة على فهمها والعلم بمدلولها على علمها »[1]، وقد تفطّن إلى هذه القضية العديد من العلماء، فهذا السيوطي ينقل على لسان الرازي:«اعلم أنّ معرفة اللغة والنحو والصرف فرض كفاية؛ لأنّ معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع، ومعرفة الأحكام بدون أدلتها يستحيل، والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنّة، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، فإذا توقفت الأحكام الشرعية على الأدلة ومعرفة الأدلة يتوقف على معرفة اللغة والنحو»[2]، في حين يذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك حيث لم يبح للمجتهد الجاهل بالعربية الخوض في الفقه ومسائله يقول:«لابدّ للفقيه أن يكون نحويا لغويا،وإلاّ فهو ناقص ولا يحلّ له أن يفتي بجهله بمعاني الأسماء وبعده عن الأخبار »[3]، ذلك أن جهله بها قد تنحرف به السبل، فيميل عن المسار الصحيح للحكم الشرعي، وقد لا يكون دقيقا في استخراجه، كون الإعراب معاضدا للمعنى، وبالتالي يُحتاج إليه لأنه يوضح ما أشكل على الفقيه استخراجه من أحكام، ويورد صاحب (مراتب النحويين) ما يوطّد الوشيجة بينهما، من خلال نقله قول الجرمي الذي نصّه :«أنا مذ ثلاثين عاما أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه »[4]، أو بالأحرى أنّه يستنبط أحكام القرآن الكريم، من خلال تتبّع نظام اللغة وقواعد الإعراب، في محاولة منه لاستنطاق آي القرآن الكريم وما تنبئ عنه من أحكام فقهية، بالاستعانة بالمعنى الذي لا غنى عنه في تدارس القرآن الكريم من جوانبه المختلفة.

كما يمكن استشفاف الصلة بينهما أيضا بالنظر إلى كثرة الاصطلاحات المشتركة بين العلمين ذلك أنّ النحو في الأساس قد أخذ عن الفقه وسار على نهجه في تقعيد القواعد ووضع أصوله فقدحاكى الفقهاء «في وضعهم للنحو أصولا تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء، وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والإجماع، كما بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقياس والإجماع»[5].

---

[1] الإسنوي : الكوكب الدري ، ص 54 .

[2] أثر النحو في استنباط الأحكام، ص 152.

[3] ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام ،ج1، ص 42.

[4] سيبويه :الكتاب ، ج1، ص 6 . مقدمة الكتاب .

[5] سعيد الأفغاني :في أصول النحو ،ص 83 .

فالمطّلع على كتب النحو والفقه، يلحظ ذاك الشبه الكبير بينهما في تناول أبحاثهما، ومحاولة النحاة استعارة مصطلحات الفقه ليس أمرا شكليا أو لفظيا وحسب، بل تعدى ذلك إلى تطابق المفاهيم والمضامين فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدأنّ "النسخ " في اصطلاح الأصوليين هو «إبطال العمل بالحكم الشرعي بدليل متراخ عنه،يدل على إبطاله صراحة أو ضمنيا ...أو هو إظهار دليل لاحق نسخ ضمنيا العمل بدليل سابق»[1]؛ أي ترك أمر أو مسألة ما جاء أمر آخر من أجل إبطالها وتركها، ويمكن أن نضرب مثالا ها هنا له علاقة بالفقه مثلا تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ويظهر النسخ عند النحويين في عمل كان وأخواتها وظنّ وأخواتها تحت اصطلاح النواسخ، إذ تغيّر حكم الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر ... [2].

بعد أن عرّجنا على صلة الفقه بالنحو كتمهيد لصلته بإعراب القرآن، فمعرب القرآن ينطلق من النص ويعود إليه في وضع قواعد اللغة، والفقيه يتكئ على النّص ليستنبط منه أدلة الأحكام، ولمّا كان الإعراب هو الإبانة عن المعاني فإنّ «الحكم الشرعي قد يتغيّر إذا أخذنا المعنى والمفهوم من أعاريب النحاة وتقديراتهم المختلفة، فقد يتحول الحكم من تحريم إلى إباحة ومن وجوب إلى جواز»[3]، فالآراء النحوية المتعددة تؤثر على فهم الآية، ومن ثمّ تؤثر على الحكم الفقهي الذي تضمنته الآية، والمعرب يقوم بتحديد الوظيفة النحوية للكلمة، وهذه الوظيفة تنبئ عن المعنى الذي فهمه المعرب، فإذا اختلف المعربون في اختلافهم في أعاريبهم يؤثر على فهمنا للمعنى، ومن ذلك خلافهم في إعراب الكثير من آيات القرآن الكريم التي من بينها ما تعلق بالأحكام الشرعية.

ثالثا: أسباب اختلاف إعراب ألفاظ القرآن الكريم:

لقد اختلف النحاة في إعراب ألفاظ القرآن الكريم اختلافا يزيد وينقص بين سورة وأخرى ،فجاءت أعاريبهم متباينة وذلك راجع إلى عدة أسباب هي [4]:

---

[1] عبد الوهاب خلاف:علم أصول الفقه، ص 222.

[2] محمد الحسن مختار بلال حاج :أثر أصول النحو بمناهج ومسائل أصول الفقه دراسة وصفية تحليلية ، مجلة جامعة الإمام المهدي، كلية الآداب،قسم اللغة العربية، جامعة الإمام المهدي ، السودان ،2015م، السنة 32 ،ع 3. ص05.

[3] ينظر :شريف عبد الكريم محمد النجار :أثر الخلاف النحوي في توجيه آيات القرآن الكريم ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ع 38 ، رمضان 1427هـ ، المملكة العربية السعودية .ص43.

[4] ينظر: عبد الله بن حمد السيف :الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم ، ص 83.

➢ احتمال السياق القرآني لأكثر من معنى: فالإعراب فرع عن المعنى لأجل ذلك كان اختلاف المفسرين فيما بينهم حول مضمون الآية، أو اللفظة فيها سببا لمجيء أعاريبهم متباينة، وكلّ كان يرجع إعرابه إلى طبيعة فهمه للآية، وهذا وجه من وجوه الإعجاز التي تحدث عنها عبد الخالق عضيمة في حديثه عن أسباب اختلاف أعاريب القرآن، قائلا: «أسلوب القرآن معجز لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيرا من المعاني وكثيرا من الوجوه»[1] وتعدد الأعاريب يدخل ضمن دائرة الإعجاز اللغوي للقرآن.

➢ الاختلاف في أصل القاعدة النحوية: فبما أنّ هذه القواعد هي عبارة عن خلاصة لعملية التنظير التي قام بها النحاة، فالإعراب في حقيقته ما هو إلاّ تطبيق لتلك الجوانب النظرية، فإذا اختلفت القاعدة اختلف الإعراب.

➢ مخالفة ظاهر الآية في تركيبها للقاعدة النحوية، ممّا يتيح للمعربين بغية إلحاق ظاهر الآية هذا بباب من أبواب النحو، فكثر الاختلاف لأنّ هذا الأمر مردّه الاجتهاد «وهنا يحتفظ النحويون لأنفسهم بحرية التعبير وانطلاق الفكر فلا يقبلون الحجر على الآراء ولا تقديس آراء الفرد مهما علت منزلته»[2] ،فنتج عن تباين آرائهم النحوية اختلاف وجوه الإعرابية لآيات الذكر الحكيم.

➢ الاشتراك في دلالة بعض الألفاظ خاصة في بعض الصيغ وحروف المعاني، ممّا يجعلها تحتمل أكثر من توجيه إعرابي.

➢ الخلفيات المسبقة التي يصطحبها المعرب معه قبل الدخول في إعراب الآية: وتختلف هذه الأعاريب وتتعدد تبعا لتخصص المعرب، فإن كان نحويا فقد يؤثر على إعرابه انتماؤه إلى إحدى المدارس النحوية، خاصة البصرة والكوفة اللتان كان الجدل بينهما حادا، وأن كان مفسّرا وفقيها فتوجهه العقدي ومذهبه الديني هو ما قد يؤثر على إعرابه؛ وإن كان على المعرب أن يسعى قدر الإمكان أن إلى تجنب إتباع الأهواء والنحل والصراعات المذهبية التي قد تفتح باب الجدل العقيم أمام الملحدين للطعن في إعجاز القرآن.

في حين أرجع كل من هديل محمد عطية ويوسف المنيراوي ذلك إلى عاملين أساسيين هما [3]:

- الاختلاف في القراءات القرآنية التي يترتب عليها إثراء المعنى:فالكلمة الواحدة قد تقرأ بالرفع والنصب والجرّ ، ولكل قراءة تفسيرها وتوجيهها الأعرابي.

[1] محمد عبد الخالق عضيمة :دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ،القاهرة 1972 ، ج1، ص 14

[2] محمد عبد الخالق عضيمة :دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ،القاهرة 1972، ج1 ، ص14 .

[3] هديل محمد عطية ،يوسف المينراوي : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن ، ص 32.

- احتمال الكلمة القرآنية لأكثر من وجه إعرابي، وإن لم تتغيّر علامتها الإعرابية: فباب المنصوبات مثلا فيه المفعول به، والمفعول معه، والحال، والتمييز، ...فقد ترِد كلمة منصوبة وتعرب على أنّها حال، ومفعول به، وتمييز في الآن معا، والاختلاف هاهنا وقع في إعراب الكلمة رغم أنّ العلامة الإعرابية ثابتة ولم تتغيّر.

المبحث الثالث: المؤلفات في إعراب القرآن:

لقد شهدت القرون الأولى زخما كبيرا في ميدان التأليف في ميدان إعراب القرآن الكريم، والتفّ حوله العلماء ساعين إلى الكشف عن أسرار إعجازه، وتوضيح مراميه ومقاصده، وكل حسب المنهج الذي ارتآه، ويمكن بالنظر إلى مضامين كتب إعراب القرآن التي ألفت منذ القديم، أن نقسمها إلى الأقسام التالية:

➢ كتب معاني القرآن:

هي كتب تناولت القرآن من الوجهة اللغوية لكنّها استعانت بالإعراب إلى درجة جعلت كتب التراجم تصنّفها ضمن كتب إعراب القرآن ومن بين هذه الكتب نذكر:[1]

1) معاني القرآن لأبي حذيفة واصل بن عطاء (ت131هـ).
2) معاني القرآن لأبي سعيد أبّان بن تغلب (ت141هـ).
3) معاني القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي ، واختلفت المصادر في إثبات سنة وفاته .
4) معاني القرآن لأبي عبد الرحمان يونس بن حبيب الظبّي (ت182هـ) أو (183هـ).
5) معاني القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي.
6) معاني القرآن لأبي علي محمد بن المستنير قطرب (ت206).
7) معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفرّاء (ت 207هـ).
8) معاني القرآن لأبي سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت215هـ)أو (221هـ).
9) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجّاج (ت311هـ).

وهذه بضع من المؤلفات التي وضعت في معاني القرآن وليست جميعها ، ولكنّنا نذكر أشهرها ونترك الفرصة لباحثين آخرين ليتوسعوا في الجوانب التي لم نتحدث عنها؛لأنّ الكتب التي تعنينا في حلقة معاني القرآن هي التي اعتنت بالمباحث الإعرابية عناية كبيرة.

[1] إبراهيم عبد الله رفيدة: النحو وكتب التفسير، ص 112-122.

➢ كتب إعراب القرآن المتخصّصة قديما:

ذكرنا في غير موضع أنّ أبا جعفر النحاس (ت338ه) هو أول من فصل المعاني عن الإعراب فصلا تاما جاعلا إعراب القرآن فنّا مستقلا ، ولا نعني بالاستقلالية هاهنا أن يتناول المعرب الآيات بالإعراب عازلا إياها عن كلّ ما سواها من العلوم، وإنّما الاستقلالية هي استقلالية موضوعين هما الإعراب والمعاني كانا يشكلان موضوعا واحدا قبل أبي جعفر النحاس، وحتى لا نطيل المقدمات نعرض مباشرة لأهم الأسماء التي أفردت لإعراب القرآن كتبا خالصة وهي كالتالي:[1]

1. إعراب القرآن لأبي محمد علي بن المستنير المعروف بـ"قطرب" (ت206ه)
2. إعراب القرآن لأبي عبيدة بن معمر المثنّى .(ت210ه)
3. إعراب القرآن لأبي مروان عبد الله بن سليمان القرطبي(239ه) ،وقد سمّاه كشف الظنون "الواضحة في إعراب القرآن .
4. إعراب القرآن لأبي حاتم السجستاني النحوي (255ه)
5. إعراب القرآن لعبد الله بن مسلم الدينوري
6. إعراب القرآن للعباس محمد بن يزيد المبرّد
7. إعراب القرآن لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب .
8. إعراب القرآن لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن المغيرة المعروف بـ "نفطويه" .(ت323ه)
9. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت 338ه). الطارق إلى آخر سورة فيه .
10. البيان في إعراب القرآن لأبي عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي (ت429ه).
11. إعراب القرآن لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي .وهناك من أثبته تحت عنوان آخر هو "البرهان في تفسير القرآن" .
12. إعراب القرآن لأبي طاهر إسماعيل الصقلي (ت455ه).
13. إعراب القرآن لأبي زكريا يحي بن محمد بن الخطيب التبريزي (ت502 ه) .
14. إعراب القرآن لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الطلحي الأصبهاني (ت535ه) .

[1] مي الجبوري : إعراب القرآن دراسة في منهجية التأليف حتّى القرن السادس الهجري، ص 12-15.

15. التبيان في إعراب القرآن لعبد الله بن الحسن محب الله أبي البقاء العكبري (ت616هـ) .

16. إعراب الفاتحة لأبي محمد موفق الدين بن عبد اللطيف البغدادي (ت626هـ).

17. الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتخب بن أبي العزّ أبو يوسف الهمذاني (ت643هـ).

18. المجيد في إعراب القرآن المجيد لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسي (ت742هـ).

- **الكتب المؤلفة في إعراب بعض سور القرآن:**

وهي كتب لم تعرب القرآن كاملا بل أعربا أجزاء أو سورا منه، من أشهرها :

1) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لأبن خالويه :بدأ من سورة الطارق ألى آخر سورة .
2) غريب إعراب القرآن لأبن الأنباري .
3) مشكل إعراب القرآن لأبي طالب مكي القيسي .

وهذان الكتابان قد أراد صاحباهما اجتباء ما أشكل إعرابه بين العلماء واحتاج لأكثر من رأي واحد .

- **كتب التفسير المستأنسة بالإعراب:**

لقد اعتنى المفسرون في كتبهم بإعراب القرآن، حيث تجد أنّ الإعراب في بعض هذه الكتب يعادل مادتها اللغوية القائمة على بيان وشرح الآيات القرآنية متخذة من الإعراب مطية –في كثير من الأحيان– لبيان المعاني وتفسيرها، والناظر في هذه الكتب يلحظ هذا الأمر، حتّى لا يكاد يفرق بين كون هذه الكتب مخصصة لعلم التفسير أو لعلم النحو وفنّه المتمثل في الإعراب، وتختلف هذه الكتب في منهاجها في عرض وجوه الإعراب، فمنها: المسهب المتوسع كما هو الحال في:

تفسير الكشاف(**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**):لأبي القاسم الزمخشري (ت538هـ) (**البحر المحيط في التفسير**): لأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ).(**الجامع لأحكام القرآن**) للقرطبي، (**الدّر المصون في علم الكتاب المكنون:**) للسمين الحلبي (ت756هـ).هو ملخص لكتاب البحر المحيط، (**وروح المعاني**) للألوسي، ومنها المتوسط في عرض الإعراب بحيث يقتصر على ما يخفى من الإعراب مثل: (**المحرّر الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز**) لابن عطية، و(**جامع البيان**) للطبري...[1]

[1] ينظر: محمد بن عبد الله الحمد السيف:الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم، ص78.

- **كتب الاحتجاج للقراءات:**

عرف بعض كتب القراءات باسم كتب الاحتجاج للقراءات وهي «كتب متخصصة في تتبع الآيات القرآنية التي اختلف أداء القرّاء فيها، وتوجيه هذا الاختلاف معنويا وإعرابيا»[1] ؛ أي أنّها كتب في علم القراءات، فتذكر القراءة معزوّة لقارئها، ثمّ تحاول إنصاف بعض القراءات التي عابها بعض النحاة والعلماء، من خلال الاعتماد على وسيلتي المعنى والإعراب في سبيل توجيهها، سواء أكانت شاذة أم متواترة، ومن أهم الكتب التي جاء الإعراب بين دفتيها نجد(**المحتسب**)لأبن جنّي، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري...إلخ.

- **كتب إعراب القرآن الحديثة:**

لقد كثرت في العصر الحديث كتب إعراب القرآن، غير أنّها كتب متخصصة في علم النحو، تتبنى إحدى القراءات، ثمّ تعرب القرآن بناءا عليها دون الخوض في المسائل الخلافية التي باتت حبيسة المصنفات القديمة، ومن بين هذه الكتب:[2]

1. إعراب القرآن الكريم لأحمد الدعّاس، وأحمد محمد حميدان، وإسماعيل محمود القاسم، فيه 3أجزاء.
2. إعراب القرآن لبشير سالم فرج.
3. إعراب القرآن لمحمود سليمان ياقوت.
4. إعراب القرآن وبيانه: لمحي الدين الدرويش.فيه، تسعة أجزاء.
5. إعراب القرآن وبيان معانيه لحسن عثمان.
6. الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتل:لبهجت عبد الواحد صالح.فيهاثني عشر مجلدا.
7. الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم: عبد الجواد الخطيب أربعة عشر مجلدا
8. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: الشيخ محمد علي طه الدرّة.ستة عشر مجلدا.
9. الجدول في إعراب القرآن وصرفه: محمودصافي.ستة عشر مجلدا.
10. البرهان في إعراب القرآن: أحمد مقيري شميلة الأهدلي 2001م.ستة أجزاء.

[1] محمد بن عبد الله الحمد السيف:الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم 78.

[2] يوسف بن خلف العيساوي: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان،دارالصيمعي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2007م، ص 146-148.

والناظر في هذا الجرد للكتب المؤلفة في إعراب القرآن قديما وحديثا على اختلاف مباحثها، يجدأن كتب إعراب القرآن القديمة رغم ما اختزنته من مباحث ولطائف لغوية وبيانية إلاّ أنها جاءت مكثفة وموجزة في المجلد أو المجلدين، في حين نجد أنّ الكتب الحديثة في هذا الفنّ قد جاءت مطوّلة لتيسير و تفصيل ما أوجزه وأجمله القدماء ولهذا جاءت في عدة مجلدات، ولكنّ العبرة ليست بالحجم بل بالكيف والقيمة العلمية للكتب وهذا تفصيل لبعض من كتب إعراب القرآن على اختلافها:

❖ معاني القرآن للفرّاء:

أورد ابن النديم في كتابه (الفهرست) قصة تأليف هذا الكتاب على لسان " ثعلب" الذي قال :«كان السبب في إملاء كتاب **الفرّاء** في المعاني أنّ "عمر بن بكير" كان من أصحابه، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل فكتب إلى **الفرّاء** أنّ الأمير الحسن بن سهل ربّما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب فإن رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلت ، فقال **الفرّاء** لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن، وجعل لهم يوما فلمّا حضروا خرج إليهم وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة فالتفت إليه **الفرّاء** فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب ففسّرها، ثمّ توفى الكتاب كلّه يقرأ الرجل وفسّر الفرّاء »[1] وعنوَن الكتاب بمعاني القرآن، ويتضح من هذه القصّة أنّ الداعي لتأليف هذا الكتاب، حاجة النّاس إلى مصنّف يعتمدونه في تفسير كتاب الله، وسرعان ما ذاع صيت الكتاب وانتشر بين النّاس، وعرض له بالبحث والتقصي للكشف عن الجوانب التي حواها بين طيّاته، والتي لم تقتصر على المعاني؛ بل تجاوزته إلى إعراب الآيات والجمل، والمتأمل في كتاب **الفرّاء** هذا يجد أنّ منهجه قائم على أساس الخلط بين المسائل اللغوية والنحوية، إضافة إلى الاستئناس بالقراءات القرآنية، لتبرير الأحكام وتوجيه القواعد، إذ «يعرض في كتابه للآية القرآنية ثمّ يتناولها بالتحليل اللغوي والنحوي معتمدا على لغات العرب في توجيه المعنى، ويفاضل بين هذه اللغات كما يعتمد القراءات القرآنية، وهو ينقد القراءة بعرضها على قراءة أخرى، ويرجح بينهما من خلال توجيه المعنى، ويوسع دائرة التأويل الذي يعدّ أبرز أدواته في توجيه الإعراب مع الاعتداد بالقياس والإكثار منه »[2].

[1] ابن النديم، الفهرست ، ص 73 .

[2] نبيهة عبد الله باخشوين:إعراب القرآن، ص 9 .

❖ وممّا سبق يتّضح أنّ للفرّاء باعا طويلا في البحث اللغوي والنحوي، وقد كان السبب في اعتبار كتابه من كتب إعراب القرآن، احتواؤه على قسط وافر من التحليلات النحوية للأوجه القرآنية، وسعة هذه المباحث ووفرتها بين ثنايا الكتاب تدل على حجم العناية التي أولاها **الفرّاء** للنحو والإعراب، لما لهما من أهمية بالغة في فهم النّص القرآني على أكمل وجه، ولا ننسى أن نذكر أنّ **معاني القرآن للفرّاء** يولي «عناية واضحة بجوانب اللغة والنحو في القرآن الكريم ،ولذلك تختلف وقفات الفرّاء مع الآيات بحسب اشتمالها على هذا الجانب؛ فتراه يمرّ بشكل عاجل عند آيات، وفي المقابل فإنّه يتوقف مليّا عند آيات أخر»[1]، وهذه الوقفات التي تمتد بين الطول والقصر راجعة إلى أنّ الكتاب هو مرجع أكيد في تفسير القرآن، وبعض آياته محتاجة إلى الوقوف عندها مطوّلا، من خلال عرض وجوه قراءاتها والتعرض لإعراب كل وجه للوصول إلى التفسيرات المختلفة للآية الواحدة، في حين توجد العديد من الآيات التي لا تحتمل أكثر من تأويل أو تأويلين، فلا يضطرّ المؤلف إلى الإطالة فيها.

❖ التبيان في إعراب القرآن العكبري:

إنّ المتصفح للكتاب يجد أنّ **العكبري** قد سعى قدر جهده إلى تتبع آيات الذكر الحكيم جميعها وإعرابها كلمة كلمة، مع توخي السهولة وتجنب الإسهاب الممل أو الاختصار المخل، وكما هو دأب جميع المصنفين في بدايات كتبهم، و أوضح **العكبري** أنّ السبب الذي حدا به إلى تأليف هذا الكتاب، هو ما امتازت به المؤلفات في عصره من تطويل وما اتسمت به من صعوبة أو الإيجاز الشديد، الذي يجعل القارئ يدور في حلقة مفرغة غير مدرك لما يقرأ فـ«الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جدا مختلفة ترتيبا وحدّا، فمنها المختصر حجما وعلما، ومنها المطوّل بكثرة إعراب الظواهر وخلط الإعراب بالمعاني، وقلّما نجد فيها مختصر الحجم كثير العلم فلمّا وجدتها على ما وصفت أحببت أن أملي كتابا يصغر حجمه، ويكثر علمه، أقتصر فيه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات، فأتيت به على ذلك »[2]، والجمع بين الحجم الصغير والعلم الغزير مطلب عسير لا يتأتى إلاّ لمن تبحّر في أغوار العربية، وعرف أسرارها وأدرك بحذقه غامضها من بديهها، وهذا شأن **العكبري** الذي لا يمكن إنكاره رغم الانتقادات التي قد توجه إلى كتابه، وسائر كتب الإعراب، وذلك لأنّ العلم والعالم لا يسلمان من الانتقاد.

---

[1] أحمد الشايب عرباوي :أصول اللغة والنحو بين الأخفش والفرّاء رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية قسم الآداب واللغة العربية ،كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2014/2013، ص 35.

[2] أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري : التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1976م، ص 03.

والكتاب-رغم نزوع صاحبه إلى الاختصار كما صرّح- هو كتاب إعراب ونحو وقراءة وتفسير وذلك لأنّه ما ترك مبحثا من بين هذه المباحث إلاّ أتى على ذكره ولو بقسط يسير بحسب حاجته إليه طبعا وقد أوضح محقق الكتاب الميزات الأساسية التي يتسم بها منهجه والتي أجملها في النقاط الآتية[1] :

- أنّه أعرب جميع آيات القرآن الكريم ففيه يذكر آيات السور على ترتيبها في المصحف ثمّ يبدأ في إعرابها آية آية بترتيبها القرآني لا يترك منها إلاّ النادر القليل ممّا سبق له إعراب مثله .
- أنّه أورد أهمّ وجوه القراءات وبيّن وجه إعرابها وكان بذلك مرجعا في القراءات أيضا .
- أنّه لم يشغله البحث في الاعراب والقراءات عن المعنى .
- أنّه يستشهد بالشعر العربي ليبيّن رأيه ويطمئن قارئه.
- أنّه يذكر القواعد النحوية العامة التي يعتمد عليها في الإعراب،ويؤكد رأيه بآراء من سبقه من النحويين.

وقيمة الكتاب جليّة وذلك راجع إلى احتفائه بالدرس الإعرابي والنحوي ناهيك عن عنايته بالقراءات القرآنية المختلفة ،والوقوف عند تفسيرها أحيانا ،فليس لمستفيد من الكتاب عالم النحو أو طالبه فقط ؛بل هو مرجع جيّد يحيل على مختلف العلوم الأخرى المذكورة.

❖ البيان في غريب إعراب القرآن لأبن الأنباري (577هـ):

مع هذا الكتاب نلاحظ أنّ إعراب القرآن قطع شوطا كبيرا وصار للمعربين قواعد وضوابط ومناهج يسيرون وفقها، فبعد أن كان القرآن يعرب بين ثنايا كتب المعاني جاء النحاس-كما سبق الذكر-ليمضي بعده المصنفون سالكين توجهات تباينت تباين المذاهب والأفكار والانتماءات، والمتأمل لعنوان الكتاب **غريب إعراب القرآن** يدرك أنّ ابن الأنباري « لا يعرب إلاّ ما وقع فيه خلاف بين العلماء واختلفت فيه الآراء »[2]فهو لم يعرض للنّص القرآني آية آية وكلمة بكلمة؛ بل اكتفى فقط بمعالجة الكلمات التي أثير حولها نقاش ونشأ الجدل في إعرابها، وهذا الاختلاف في الأعاريب التي ذكرها للكلمة الواحدة، راجع بالأساس إلى تعدد وجوه القراءة التي تتلى بها ممّا يحتمل وجوها إعرابية متعددة، وقد أوضح ابن الأنباري الهدف من تأليف كتابه في مقدمة شديدة الإيجاز

[1] المرجع نفسه، مقدمة المحقق ،ص د ،هـ .

[2] إبراهيم بن حسين بن علي صنبع : أثر المعنى في تعدد وجوه الإعراب في كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، قسم الدراسات العليا العربية ،كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1999، ص 17 .

فقال:«وبعد فقد لخصت في هذا المختصر غريب إعراب القرآن على غاية من البيان، وتوخيّا للتفهيم والله تعالى ينفع به إنّه هو البرّ الرحيم »[1].

ومن هذه المقدمة المختصرة يتضح لنا ملامح الكتاب بوضوح إن في موضوعه الذي هو إعراب الغريب من الكلمات، أو في منهجه الذي يتّسم باليسر والسهولة والإيجاز، أم في غايته التي هي جلاء المعاني القرآنية من خلال أوجه القراءات المختلفة الأعاريب التي تحمل في اختلافها إضافات جديدة إلى المعنى، وإن كان ابن الأنباري قد لخّص محتوى كتابه في مقدمة موجزة فإنّ محققه قد خصّ منهجه في الكتاب بمقدمة مطولة، عارضا فيها لمختلف الجوانب المنهجية التي ارتآها الأنباري، مبينا أنّ كتابه هذا هو« كتاب خالص في إعراب القرآن مبين للوجوه المحتملة في إعراب كثير من الآيات، لكنّه لا يخلط شرحه النحوي بأي شرح معنوي أو بلاغي إلاّ في النادر، ثمّ هو يتتبع إعراب الكلمات التي تعددت الآراء فيها لذلك لا نراه ينتقل بين الآيات على حسب ترتيبها منتقيا ما يحتاج إلى إعراب تاركا إعراب ما لا يحتاج إلى إعمال فكر »[2] فالبيان كتاب إعراب للقرآن بكل ما للكلمة من معنى، وهو قائم على مبدأ انتقائي بالدرجة الأولى لأنّه يترك الكلمات الواضحة معنى وإعرابا، ويعرض لتلك التي تناولها علماء النحو والتفسير بأكثر من إعراب واحد؛ ولأنّ صاحب الكتاب أوضح منذ البداية أنّه يبتغي الموجز المفيد غير المخل، فقد كان يعمد وهو يعرض للخلافات النحوية، إلى الإحالة على كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) لمن أراد مزيدا من الإيضاح، وذلك لأنّه لم يرد أن يكرّر ما قاله في مؤلفاته السابقة في مصنفه (البيان في غريب إعراب القرآن) فقد «كان لاهتمامه بالخلاف النحوي أثر واضح ظاهر في كتابه ، فهو يذكر وجوه الخلاف في إيجاز في كتابه البيان ،لكنّه إيجاز لا يخل ثمّ يحيل التطويل والإسهاب على كتابه الإنصاف »[3].

ورغم أنّ هذا الكتاب موضوع للإعراب كغرض خالص، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من الركون إلى التفسير في بعض الأحيان لتوضيح المقصد وتأييد الحجة، وهذا ما أقرّه محقق الكتاب بقوله: «على الرغم من أنّ السمة الغالبة على الكتاب هي العناية النحوية الخالصة، إلاّ أنّه استعان أحيانا بالتفسير ليوضح المعنى ويثبت صحة الإعراب الذي يفضله وفساد الإعراب الذي لا يساير المعنى الصحيح »[4]، وبما أنّ الدرس النحوي والقراءات القرآنية عنصران

[1] أبو البركات ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن : تح طه عبد الحميد طه وأخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980م، ص 30.

[2] أبو البركات ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن،مقدمة المحقق ، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص19.

[4] المرجع نفسه، ص 20.

متلازمان، كما أشرنا سابقا، فابن الأنباري وكغيره من النحاة القدماء قد أولى عناية بالغة للقراءات القرآنية؛ لأنّها أصلا حجر الأساس في موضوعه، فالغريب الذي ارتآه من الإعراب إنّما كان نتيجة اختلاف القراءات القرآنية فكان «يعرب القراءات التي يوردها في الكلمة الواحدة من القرآن أو يبين الوجه النحوي الذي يمكن أن تكون عليه هذه القراءة أو تلك »[1]، والكتاب من أوّله إلى آخره دليل صادق على صحة هذا الكلام .

أمّا شواهد الكتاب فقد كان نصيب الأسد فيها للقرآن الكريم، حيث كان ابن الأنباري بعرض للوجوه الإعرابية المختلفة، حتّى إذا رجح أحد الوجوه فإنّه يسوق آيات أخرى في معرض حديثه، تشبه المقام الذي أعربه وتشهد على صحة الإعراب، ورغم ذلك لم يمنعه هذا الأمر من إدراج الشواهد الشعرية متى استلزم الموقف استحضارها، وذلك لأنّ حتّى لو كان المعرب نصّا قرآنيا.

وللبيان إذن قيمة علمية كبيرة لما حوى بين طيّاته من مسائل الخلاف، وما أوضح من وجوه الإعراب ولا غنى لمعربي القرآن عن الالتفات إلى مضمونه.

❖ البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي:

من المعلوم أنّ إعراب القرآن والتفسير وجهان لعملة واحدة هي النزوع نحو فهم النّص القرآني، وتوضيح ما قد يشكل على الناس فهمه، لذلك نلحظ في كتب المفسرين كثرة اعتمادهم على التعليلات الإعرابية، والتطرق للمسائل النحوية أثناء التفسير، ومن أبرز كتب التفسير التي حملت الوجهة النحوية كتاب **البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي**، الذي يعدّ من بين أرقى كتب التفسير القرآني وأفضلها، وذلك راجع إلى المرجعية الثقافية الضخمة لأبي حيّان الذي أخذ من كل علم بطرف، فكان بذلك علما من أعلام التفسير بصيرا بالعربية وأسرارها متفقها فيها أيّما تفقه، وقد لخّص أبو حيان منهجه في مقدمة كتابه قائلا: « ابتدأ أوّلا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيها يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فتحتمل عليه ثمّ أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها ونسخها (...)حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكرا توجيه

[1] مي فاضل الجبوري ، إعراب القرآن الكريم دراسة في منهجية التأليف حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1، 2001 .ص 134 .

ذلك في علم العربية (...)بحيث إنّي لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب »[1] .

ويلاحظ من هذه المقدمة سعة المباحث التي عني بها الأندلسي رغم أنّ كتابه كتاب تفسير في الأصل إلاّ أكّد في غير موضع على أهمية علوم العربية، لاسيّما الإعراب منها في تفسير القرآن الكريم، وقد خصّ عبد الله رفيدة هذا الكتاب بدراسة مستفيضة مبينا منهجه في التأليف، مبديا إعجابه بالمصنِف ومصنَفه قائلا:«وهو يبهرك في علاجه لإعراب القرآن الكريم، بشمول نظرته في النحو، وسعة اطلاعه، وقوة استحضاره للشروط والأقوال ووجوه الإعراب، والنصوص المؤيدة للرأي الذي يرتضيه، وقرّائه وقدرته على الاحتجاج لها، وبيان وجوهها مع التسليم التام لما جاءت به الرواية »[2].

فالأندلسي، على ما يبدو، شديد الاعتداد بالقراءات القرآنية لأنّها من المقدس الذي لا ينبغي أن يتجرأ أحد مهما علت منزلته وارتفع قدره على الطعن في حجيتها أو عدم موافقتها للقواعد النحوية المقررة ،فالكتاب مرجع قيّم للمفسّر والنحوي على حدّ السواء .

❖ مشكل إعراب القرآن للقيسي:

استطاع **مكّي بن أبي طالب القيسي** في مؤلفه هذا أن يخلق منهجا متفردا في مجال إعراب القرآن الكريم، وهذا ما يوحي به العنوان، فالناظر فيه يتبادر إلى ذهنه مباشرة اقتصاره ما أُشكل إعرابه، هذا المشكل الذي «قد تغمض معرفة إعرابه وإدراك توجيهه أو يخالف في الظاهر قواعد النحاة، لكنّه في النهاية بعد التأمل والتحقيق يظهر لنا موافقتها »[3] ، وكان عمل **مكّي** في هذا الكتاب خلاصة مطالعاته لمثل هذه الكتب، فحاول أن يصنع لنفسه منهجا مغايرا لما عهده في تصانيف المعربين، وحاول توضيح وجهة نظره وهدفه من تأليف هذا الكتاب بقوله :« وقد رأيت أكثر من ألف الإعراب طوّله بذكر لحروف الخفض وحروف الجزم، وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول (...) فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب، وذكر علله وصعبه ونادره ليكون خفيفا

[1] أبو حيّان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ص 4 .

[2] عبد الله رفيدة : النحو وكتب التفسير ،ص 170.

[3] أحمد بن محمد الخراط : المجتبى من مشكل إعراب القرآن ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، دط ، د ت ن ص 02 .

المحمل سهل المأخذ، وقريب المتناول لمن أراد حفظه والاكتفاء به»[1] فالواضح من قوله أنّه إنّما ألّف كتابه قصد الاختصار والإيجاز، خاصة وأنّه ألّفه بعد أن استوى إعراب القرآن، فكان اقتصاره على ما أشكل إعرابه درءا منه التكرار الحاصل في هذه الكتب، وفي الوقت ذاته ليسترسل في قوله، موضحا أنّ كتابه هذا ليس موجها لمن لا علم له ولا بصر له بعلم النحو أو المبتدئ والجاهل به، فهو من هذه الجهة ليس بصدد تلقين القارئ لقواعد النحو والإعراب مقررا ذلك بصريح العبارة يقول: «لم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو إلاّ الخافض والمخفوض، والفاعل والمفعول، والمضاف، والمضاف إليه، (...) إنّما ألفناه شدا طرفا منه، وعلم ظواهره، وحملا من عوامله، وتعلق بطرف من أصوله »[2]، وهذا كان هدفه من التأليف، ويمكن استشفاف ذلك أيضا من خلال معالجته لآيات القرآن نحويا، حيث يعرضها باختصار شديد دون تفصيل، واضعا في الحسبان أنّ القارئ لكتابه متقنٌ للنحو والإعراب، وأنّ ما يحاول تقديمه هو بمستوى أرقى من ذلك التلقين.

والجدير بالذكر أنّ كتاب **المشكل** قد ألف بعد أن خاض وإعراب القرآن أشواطا كبيرة، واستقرت المدارس النحوية ممثلة في المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية والمصرية، فأصبح لزاما على من يريد التأليف في هذا المضمار اعتناق مذهب نحوي يعتمده في مؤلفه فتطغى عليه مصطلحاته، وبالنظر إلى مشكل مكّي فإن «المصطلح يتأرجح بين المدرستين البصرية والكوفية، إلاّ أن المصطلح العام في كتاب (مشكل إعراب القرآن) لمكّي هو المصطلح البصري، لكنّه استخدم أيضا بعض المصطلحات الكوفية كالخفض، والنعت، والتفسير ...»[3].

وكتاب **المشكل** كغيره من كتب إعراب القرآن قد احتفى بين طيّاته بالحديث عن الخلاف النحوي ويتجسّد ذلك في خضم عرضه للآية الكريمة وعرضها على نظام اللغة و قوانين النحو، خاصة التي كانت مثار جدل وخلاف كبيرين ،حيث يقوم بادئ ذي بدء بعرض جلّ الوجوه المحتملة والتي قال بها النحاة الأوائل، ذاكرا حججهم وتعليلاتهم، و **مكّي** من خلال كتابه «يذكر خلاف الكوفيين والبصريين، كما يقف مع أحد الطرفين أحيانا كما فعل في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[سورة طه، الآية : 63] حيث يقول:« ومن رفع ﴿هَٰذَٰنِ ﴾حمله على لغة بلحارث بن كعب وحملت "**أن**" على معنى "**نعم**" (...) وأمَّا مذهب الكوفيين، فهو

[1] مكّي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، ص28 .
[2] المرجع نفسه، ص64 .
[3] مي الجبوري: إعراب القرآن دراسة في منهجية التأليف، ص82 .

من أحسن شيء لأنّهم يعدون **إن** الخفيفة بمعنى "**ما**" واللام بمعنى **إلاّ**، فتقدير الكلام: ما هذان إلاّ ساحران، فلا خلل في هذا التقدير »[1] فهو يعرض للآية المشكلة فيذكر الأوجه المحتملة في إعرابها مُبديا رأيه من ذلك، والناظر في منهج **مكّي** في كتابه **المشكل**، يجده قد بوّبه بحسب سور القرآن، ثمّ يأتي بإعراب الآيات التي أشكل إعرابها، أو اختلف فيه من كلّ سورة فينتقل من آية إلى أخرى حسب ترتيبها.

لقد أعطى كتاب **مشكل إعراب القرآن لمكّي** دفعا جديدا لمن يريد التصدي لإعراب القرآن، حيث حاول من خلاله وضع خلاصة إعراب القرآن الكريم بين يدي القارئ الباحث، عن خبايا كتاب الله من الناحية النحوية ، كما استطاع أن يكسر رتابة التأليف فيه، والخروج من عملية اجترار ما تمّ تقديمه من قبل المعربين الأوائل.

❖ الجدول في إعراب القرآن صرفه لمحمود صافي الدرّة:

مع مرور الوقت وتوالي المصنفات تغيّرت نظرة المشتغلين بإعراب القرآن الكريم، فما عادوا يحفلون بمسائل الخلاف، وما عادت مصنفاتهم توجّه القراءات القرآنية المتعددة، وتتحد عن أعاريبها المتباينة، بل صارت تنتقي إحدى القراءات الشائعة، وتختار من الوجوه الإعرابية أسهلها وأبسطها وأقربها إلى أذهان متعلمي اليوم، الذين ينشدون التخصص الواحد، ويبتعدون كل البعد عن الموسوعية التي اتّسم بها السلف، فالإعراب عندهم وإعراب القرآن كذلك، صار مجرد تحديد للمواقع الإعرابية كالفاعلية والمفعولية والإضافة ...إلخ، وما عاد للتفسير والتوجيه اللغوي مكانة عند معربي القرآن المحدثين، إلاّ فيما ندر، ومن بين أشهر الكتب التي تناولت إعراب القرآن على الطريقة الحديثة، كتاب **الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي**، وإن كان هذا المصنف قد حفل بالجوانب الصرفية إلى جانب الإعراب- كما يبدو من عنوانه- وقد شرح لنا منهجه المتسم بالبساطة في العرض في مقدمة كتابه، مؤكدا اعتماده قراءة واحدة هي قراءة حفص قائلا:« اقتصرت فيه على قراءة واحدة من القراءات السبع وهي قراءة حفص ...فعلت ذلك حتى لا يضيع المبتدئ في متاهات الإعراب المتعلقة بالقراءات الأخرى ...ولكن قد يكون للكلمة المعربة بحسب هذه القراءة أكثر من وجه للإعراب، فأختار والحالة هذه الإعراب المتعلق بالمعنى الأوضح والأظهر ثمّ أحيل القارئ إلى أوجه الإعراب الأخرى في الحاشية إن كانت ثمّة ضرورة لذلك »[2]، وقد اقتصر محمود صافي في كتابه هذا، على ذكر القواعد العامة دون تفصيل؛ لأنّ كتابه وسائر كتب إعراب القرآن

[1] مي الجبوري: إعراب القرآن دراسة في منهجية التأليف، ص 92.

[2] محمود صافي الدرّة : الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، دار الرشيد ، دمشق ، ط3،1995م، ص 13 .

الحديثة هي كتب ذات طابع تعليمي لا علمي، وشأنها في ذلك شأن أي كتاب في النحو، يحمله الطالب الراغب في فهم النحو ميسر، فيستوعب مراده بكل سهولة يقول: في هذا الشأن الدكتور صافي الدرّة«وقد توخيت أن يكون الإعراب مدرسيا من حيث الشكل، معتمدا على الاصطلاحات الإعرابية الحديثة المألوفة في مدارسنا وجامعاتنا لم أترك أي كلمة كانت اسما أم فعلا أم حرفا من غير إعراب ثمّ أعقب بعد إعراب الكلمة بإعراب الجمل »[1]. ويعدّ مرجعا مهما للباحث في إعراب القرآن في العصر الحديث حيث يمتاز بالسهولة والبساطة في الطرح .

[1] محمود صافي الدرّة : الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، دار الرشيد ، دمشق ، ط3،1995م، ص 14.

الفصل الثاني :دراسة مقارنة بين كتابي إعراب القرآن للنحّاس وإعراب القرآن للدرويش

- من حيث المنهج
- من حيث المصطلح
- من حيث المادة

المبحث الأول: التعريف بالمؤلفين وكتابيهما

تبيّنتْ لنا في الفصل الأول من هذه الدراسة بعض التحوّلات التي طرأت على موضوع إعراب القرآن منذ القديم وحتى الآن،والمتأمل في هذه التّحوّلات يتأتى له بوضوح إدراك حقيقة مُفادها أنّ هناك فوارق منهجية وفكرية تطغى على التأليف في هذا الموضوع، فتُعطى لبعض من هذه التآليف صفة الموسوعية ،ولبعضها الآخر ميزة التخصص والإيجاز، وغيرها من السمات التي تكتنف التأليف والتصانيف الموضوعة في إعراب القرآن، وممّا لاشك فيه أنّ تلك التغيرات التي شهدها هذا المجال من الدراسات القرآنية تجعل الفوارق بين التأليف في إعراب القرآن قديما وحديثا شديدة الاحتمال والورود، وليس في إمكان الباحث سبر أغوارها والكشف عن معالمها إلا من خلال عرض كتب هذا الفن على ميزان المقارنة، لأنّها ستكون خير دليل ملموس على المناهج التي ارتآها أصحابها لأنفسهم، والطرق التي اعتمدوها والتي رفضوها، فجاءت مبثوثة في تضاعيف مؤلفاتهم،والكشف عن ذلك هو ما يتصدى له هذا الفصل، من خلال عقد دراسة مقارنة بين كتابين من هذه الفئة من الكتب وهما:(**كتاب إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس**،كمدونة تراثية تمثل ما ألف في موضوعه في العصر القديم، و(**إعراب القرآن وبيانه) لمحي الدين الدرويش**كمرآة لمؤلفات العصر الحديث في الميدان ذاته، وقبل الغوص في تفاصيل هذه المقارنة، جدير بنا أن نقدم ترجمة موجزة لهذين المؤلِّفين وبعدها يكون لنا وقفة مع الكتابين وصفا وتحليلا وموازنة.

أوّلا: التعريف بأبي جعفر النحاس

لقد حفل تاريخ العربية على مرّ العصور بأسماء لعلماء أفذاذ،كان لهم الصيت الواسع والشهرة الذائعة، والمكانة الرفيعة، إن في حياتهم أو بعد مماتهم، وما كان ذلك إلاّ للجهود التي بذلوها وللتراث الضخم الذي خلّفوه لنا، فكان أكبر شاهد على إخلاص هؤلاء للعربية وسعيهم الدائم لفهم القرآن الكريم وإفهامه للآخرين،و نحن نطالع كتب التراث يصادفنا علم من أعلام اللغة والنحو في إحدى ساحات مصر، لكنّه تمكّن بفضل علمه وتفقهه في شتى ميادين المعرفة من بلوغ أرفع الدرجات وأرقى المراتب، إنّه النحوي المصري المعروف بالنحّاس، فمن يكون أبو جعفر النحاّس؟ وما مدى قيمة الخدمات التي قدمها للعربية والقرآن المجيد؟ وإلى من يرجع الفضل في تعليمه، وما معالم المذهب الذي ارتآه لنفسه بعد أن بلغ في النحو واللغة وتفسير القرآن مبلغ كلّ عالم جليل.

1- مولده ونسبه:

تحدّث أصحاب السيَر عن ابن النحّاس في العديد من كتب التراجم والطبقات، منها (إنباه الروّاة) للقفطي،و(طبقات والنحويين واللغويين) للزبيدي...، غير أنّ هذه الكتب في معظمها متفقة على عدم إيراد سنة ميلاده، مكتفية في ذلك بإثبات نسبته، وذكر بعض مؤلفاته وبعضٍ من شيوخه والآخذين عنه، وقد اتفقت المصادر على أنّ اسمه الكامل هو«أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بابن النحّاس، أبو جعفر النحوي المصري »[1]غير أنّ ابن خلكان لقّبه بالصفّار، ناصًّا على أن كلا اللقبين متقاربان في الدلالة«فالنحّاس بفتح النون والحاء المشددة المهملة وبعد الألف سين مهملة، وهذه النسبة إلى من يعمل النحاس وأهل مصر يقولون لمن يعمل الأواني الصفرية النحاس»[2] فالصفّار والنحاس لقبان يطلقان على العامل في الأواني النحاسية، والرائج قديما أنّ اللقب يطلق على الشخص إما لصفة خلقية مثل لقب الجاحظ فقد أُطلق عليه لجحوظ عينيه أو لحرفة يمتهنها، فيلتصق اللقب بالعائلة ويتوارث عنهم جيلا بعد جيل، وهذا ما يمكن إسقاطه على النحّاس خاصة وأن كتب التراجم لم تذكر شيئا عن امتهانه صناعة الأواني النحاسية،وأغلب الظن أنّه انتقل إليه من أسرته.

ولد بمصر وتلقى العلم في بداياته الأولى هناك حيث كان «يتردد على الكتاتيب وحلقات المساجد كما هو شأن من كان في مثل سنّه يتعلم مبادئ العربية ، ويحفظ ما تيسر من القرآن ويتزود بشيء من العلوم الدينية »[3] .لأنّه كان شغوفا بطلب العلم باحثا عنه مذ اشتدّ ساعده رحل إلى العراق ،وبالتحديد بغداد حاضرة العلم وقبلة العلماء إذ ذاك حيث كانوا يتوافدون إليها ليأخذوا عن شيوخ النحو البصريين ثمّ الكوفيين فيما بعد، وهناك «سمع عن الزجّاج وأخذ عنه النحو وأكثر وسمع عن جماعة ممن كان بالعراق في ذلك الأوان كابن الأنباري نفطويه وأمثالهما »[4]، وهكذا بنى النحّاس تحصيله العلمي في مسقط رأسه ثمّ سعى شأن كل عالم طموح إلى

---

[1] جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي :إنباه الرواة عن أنباه النحاة ، تح: أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي ،القاهرة ، ط1، ج1، ص 136 .

[2] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي: وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تح: إحسان عباس ،دار صادر، بيروت، ط1، 1994 ، ج1، ص 99.

[3] لعميري لجميدي :التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية من خلال كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان ، قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، 2010/ 2011 م، ص9.

[4] القفطي: إنباه الرواة عن أنباه النحاة، ج1، ص 136.

تنمية معارفه وتوسيع آفاقه العلمية، من خلال الارتحال ومعرفة الآخرين والاطلاع على ما أنتجوه في حقل المعرفة الواسع،وبعد أن اكتسب من العلم الكثير، وتفقه في علوم شتّى كالنحو واللغة والأدب، عاد إلى بلاده محمّلا بما أخذ عن شيوخه الأجلاء، راغبا في تعليم غيره من أبناء مصر ما اكتسبه في العراق، حاملا معه كتاب سيبويه لـ«يدرسه لطلابه وطارت شهرته فرحل إليه الطلاب من الأندلس، وفي مقدمتهم محمد بن يحيى الرّباحي، الذي حمل عنه كتاب سيبويه رواية ودرسه لطلابه بقرطبة »[1]، فكان له بذلك فضل انتشار "الكتاب" في الأندلس، غير أنّ عالما كانت له مثل هذه الصفات مات بطريقة مؤسفة على يد أحد الجهّال، ويسرد صاحب إنباه الرواة قصة وفاته والتي مفادها أنّ أبا جعفر كان جالسا« على درج المقياس بمصر على شاطئ النيل، وهو في مدّه وزيادته ومعه كتاب العروض، وهو يقطع منه بحرا فسمعه بعض العوام فقال: هذا يسحر النيل حتّى لا يزيد فتغلو الأسعار، ثمّ دفعه برجله فذهب في المد، فلم يوقف له على أثر»[2].فالمفارقة جعلت جاهلا لا يدري من العلم شيئا يقضي على حياة عالم عاش عمره طالبا للعلم خادما له، ولكنّ عالما كهذا لا تموت روحه ولو فارق الحياة، ذلك أنه استطاع أن يجعل لاسمه محلا في كتب التاريخ؛ إذ ترك لنا مصنفات جليلة تثري البحث العلمي في مختلف جوانبه،وتعكس شخصية النحّاس وموسوعيته وتبحره في شتى العلوم متأثرا بذلك بشيوخه من البصرة والكوفة على حدّ سواء .

2- مذهبه النحوي:

سبقت الإشارة إلى أنّ النحاس كان قد أخذ العلم في بغداد عن شيوخ البصرة، ناهيك عن أعلام الكوفة ورؤسائها، ممّا أثّر على شخصيته وحدا به إلى تبني مذهب وسط يأخذ فيه من كلّ بستان وردة -كما يقال- ولعل في ذلك كلّه ما يدل على أنّ مصر أخرجت نحويا بغدادي النزعة في وقت مبكر، فهو يمزج بين النحو البصري والكوفي،و ينفذ إلى آراء جديدة [3]، ورغم أنّ بعض الأصوات تنادي ببصريته إلاّ أنّ مؤلفاته تثبت العكس وتؤكد أنّه كان ينتخب من الآراء أجودها، آخذا بذلك من الاتجاهين البصري والكوفي، حتّى إنّه نقد سيبويه، ورجح مواقف الفراء في كثير من الأحيان في كتابه(إعراب القرآن)،وهذا ما سيتم الكشف عنه لاحقا.

---

[1] شوقي ضيف :المدارس النحوية ، ص 232.

[2] القفطي :إنباه الرواة، ص 136 .

[3] شوقي ضيف :المدارس النحوية ، ص 233-234.

ويرجع السبب في تبنّي النحّاس لهذا المذهب وغيره من النحاة إلى تأثرهم بما يجري من منافسة علمية بين روّاد البصرة من جهة ورؤساء الكوفة من جهة أخرى، وامتزاج الآراء والمواقف فيما عرف بالمذهب أو الاتجاه البغدادي ، وهذه المنافسة المحتدمة كانت على أرض بغداد، « بين أنصار المذهبين وأتباعهما ممثلين في علمين من أعلامهما، عدا آخر شيوخ البلدين وعلميهما الشهيرين اللذين انتهت إليهما رئاسة الدرس النحوي وهما المبرد وثعلب »[1] وكلاهما ترك أثرا بالغا في شخصية النحّاس وعكسا توجهه المعتدل .

3- نتاجه العلمي:

إنّ الثقافة الواسعة التي امتلكه أبو جعفر النحّاس، وقدرته على استيعاب الآراء البصرية والكوفية على ما فيها من تناقض وخلاف بين وخروجه المبكر إلى بغداد ملتقى الأفكار آنذاك وحبّه للعلم ونزوعه نحو الارتشاف من المعارف اللغوية والشرعية،كلّ ذلك أكسبه تكوينا ثقافيا متميّزا، الأمر الذي تبعه تأليف في العلوم اللغوية الإسلامية أقل ما يقال عنه أنّه كان نتاجا غزيرا، ويؤيد ذلك ما قاله عنه صاحب الطبقات واصفا إياه بأنّه كان واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف،فإذا خلا بقلمه جوّد وأحسن »[2] ومصنفاته التي تناقلتها المصادر خير دليل على ذلك ،فهو ما ترك جانبا من جوانب العلم إلا حاول سبر أغواره ،وكشف النقاب عنه لمن جاء بعده، وقد أقرّ بهذه الحقيقة، إلى جانب المصنفين القدماء، عدد من الباحثين المعاصرين الذين شغلتهم قضية البحث في مصنفات أبي جعفر وآرائه المتعددة،ومن بين هؤلاء نجد أحمد مختار عمر في كتابه (تاريخ اللغة العربية في مصر)،حيث يشهد للنحّاس بما نصّه «أمّا أبو جعفر فكان نسيجا وحده،لم يترك بابا من أبواب الدراسات الإسلامية إلاّ طرقه وألّف فيه، كتب في القراءات وفي التفسير، وفي الحديث، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي النحو وفقه اللغة، وفي الأدب ودوائر المعارف، وكان في كلّ ما يكتب موفقا »[3].

ويمكن تقسيم مؤلفاته إلى قسمين رئيسيين هما: [4]

الكتب المطبوعة وتمثلت في :

4- معاني القرآن الكريم: وهو شرح وبيان لمعاني الآيات القرآنية

---

[1] خضر موسى محمّد حمّود:النحو والنحاة والمدارس والخصائص، عالم الكتب ،بيروت، ط1،2003م، ص 255 .

[2] الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، ص 220.

[3] أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970، ص 63.

[4] عبد الهادي بن علي بن سعيد الزهراني : اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير،أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير ، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأول الدين ، جامعة أم القرى ، 1427هـ -1428هـ ،ص 62 -64 .

5- إعراب القرآن الكريم: ويتّضح من العنوان أنّ النحاس اعتنى فيه بإعراب آيات القرآن الكريم،وهو بجانب ذلك يهتم ببيان المعاني التي تحتاج إلى توضيح وبيان،فجمع فيه التفسير والإعراب.

6- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم يظهر هذا الكتاب تمكن النحّاس من العلوم الشرعية على غرار العلوم اللغوية ، إذ أثبت براعته فيها وما هذا الكتاب وغيره ممّا يصب في شاكلته إلاّ عينة عن تبحره في شتى العلوم ، وتطرق فيه النحّاس إلى إحصاء الآيات المنسوخة في سور القرآن من أوّله لآخره على حسب ترتيب المصحف على ما ظهر له من ذلك.

7- القطع والائتناف: أورده ابن خلكان بعنوان الوقف والابتداء[1] خصصه النحّاس لبيان مواضع الوقف والابتداء ورؤوس آي القرآن الكريم .

8- التفاحة في النحو: وهو كتاب مختصر في علم النحو للمبتدئين.

9- كتاب اللامات: هي رسالة اقتصر فيها النحّاس على اللامات الموجودة في القرآن الكريم وبيان استخداماتها ومعانيها.

10- شرح القصائد التسع الجاهليات : أفصح في مقدمته عن منهجه قال : «والذي جرى عليه أمر أكثر أهل اللغة الإكثار في تفسير غريب الشعر ،وإغفال لطيف ما فيه من النحو فاقتصرت على غريب القصائد التسع المشهورات ،واتبعت ذلك ما فيه من النحو باستقصاء أكثر ،ولم أكثر الشواهد ولا الأنساب ».[2]

11- تفسير أبيات سيبويه.

12- صناعة الكتاب :وهو يدور حول أدب الكاتب وكيفية الكتابة .

الكتب المخطوطة هناك بعض كتب النحّاس التي ضاعت مع عاديات الزمن فلم يبق منها إلاّ الاسم في كتب التراجم، و منها ما بقي مخطوطا، لكنّها مفقودة من مثل (الكافي في النحو) ، (معاني الشعر)، (المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين)، ومصنفات أخرى نحن في غناً عن ذكرها جميعا،وهكذا يمكن القول بدون مغالاة أنّ نتاج أبي جعفر النحّاس يتسم بالغزارة من جهة،وبالشمولية والتنوع من جهة أخرى، لما طرقه من مواضيع وما حوته كتبه بين طياتها من مضامين.

---

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج1، ص 100

[2] أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس :شرح القصائد التسع المشهورات ، تح:أحمد خطاب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،ط1، 1973،ص 12.

ثانيا : وصف عام لكتاب(إعراب القرآن) لأبي جعفر النحّاس:

إن كتاب أبي جعفر النحاس الذي بين أيدينا يندرج ضمن دائرة المؤلفات التي اختارت لنفسها القرآن الكريم ميدانا لخوض غمار البحث اللغوي والتبحر فيه ، هذه المؤلفات التي مازجت بين الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية فأنجبت لنا لونا مميزا من الكتب والتصانيف التي تشتغل على ألفاظ القرآن الكريم من الناحية النحوية ، عرفت بكتب إعراب القرآن الكريم.

إن المطالع لكتاب النحاس يلحظ أنّه أشمل من أن يكتفي بذكر إعراب القرآن الكريم وألفاظه،فهو في محاولة منه إبراز المعاني القرآنية بالاستناد على قوانين اللغة وقواعد الإعراب؛أي أنه ينتمي إلى فرع البحث اللغوي .أما عن دلالة مصطلح الإعراب الذي هو عنوان الكتاب فلم يبيّن النحاس عن مقصوده من إطلاقه، ولم نعثر على دلالته أيضا في أدراج مقدمات التحقيق لهذا الكتاب، وكان الأحرى بالمحقق أن يترصد لكل شاردة وواردة في الكتاب قيد التحقيق، فما بالك بفاتحة المؤلَف وعنوانه، كما لا يخفى على أحد ما للعنوان من إيحاءات قادرة على عكس جانب وأكثر من مضمون الكتاب،ولكنّ المؤلفات القديمة والتراثية –كما أشرنا سابقا– تختلف عن الكتب الحديثة ، إذ أن موسوعيتها ومعالجتها للكثير من المباحث فإنّ إطلاق العنوان عليها لا يفي كلّ تلك المباحث ما كان منهم إلا أن لجأ بعضهم إلى الاختصار أو التعبير عن جانب بعينه واشتماله على باقي الجوانب الأخرى .ونترك هذا التفصيل إلى ما سيأتي في الجزئية المخصصة لمنهج الكتاب.

إنّ الحديث عن هيكل الكتاب وشكله الخارجي على النحو الذي وضعه وقدمه لنا أبو جعفر نسبي– نوعا ما– ذلك أنّنا نصف الكتاب الذي تصرف النسّاخ والمحققون فيه، وكذا مختلف التعديلات التي طرأت عليه، فنحن نصف الشكل النهائي وليس المخطوط الأول الذي صنعه النحّاس، ولكن رغم هذا وذاك فلابدّ من بقاء بعض الأمور القارة فيه، فالنحاس بدأ كتابه كما هو دأب الكتاب والمصنفين العرب بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله،صلى الله عليه وسلم، ثم بمقدمة موجزة رسم من خلالها ملامح فكره ونظرته وما هو بصدد القيام به في كتابه هذا، مرتّبا فصوله على أسماء سور القرآن الكريم من أول سورة وهي الفاتحة إلى آخر سورة فيه، ولا يحتوي الكتاب على الخاتمة العلمية التي ألفناها في البحوث العلمية وإنما اكتفى بحمد الله والصلاة على النبي الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكتاب (إعراب القرآن) متوسط الحجم لا هو بالكبير الضخم ولا بالصغير الهزيل المختصر، يبلغ عدد صفحاته تسعين وثلاثمائة وألف صفحة، ومنهم من وزّعه على ثلاثة مجلدات متوسطة الحجم، كما فعل المحقق زهير غازي زاهد ،حيث أضاف إلى النص الأصلي بعض العناصر التي رآها مهمة قبل تقديم نص المؤلف محققا، كحياة أبي جعفر ونسبه وعصره وكذا أهمية الكتاب، إلا أن المتن لم يختلف بل أكتفوا بوضع شروحات أو إحالات إلى النسخ المحققة آنفا .

إنّ مكمن أهمية التراث وما أخرجه من مؤلفات خاصة منها التي نجت من عاديات الزمن ووصلت إلينا في أنها تعطينا قبسا يجلي لنا ملامح الفكر والثقافة وكذا التوجهات، وكتاب النحاس هذا يعطينا إضاءة لا بأس بها عن مناهج التأليف في ذلك الزمن .

ثالثا: التعريف بمحي الدين الدرويش .

إذا كان أبو جعفر النحاس عالما فذا ومؤلفا مكثرا وموسوعيا جمع فنون اللغة مستحضرا ثقافته من خلال عمليات الاستشهاد المتنوعة والمكثفة، فإنّ محي الدين الدرويش ، باعتباره مؤلفا حديثا لا يقل شأنا عن النحاّس فرغم ما بات عليه واقع التأليف في العصر الحديث إن في شتى العلوم أو في التأليف في ميدان اللغويات على وجه الخصوص، وبينما سار ركب من المؤلفين في الدعوة إلى التجديد أشواطا مرتدين بذلك عباءة الغرب مطالبين بتيسير العلوم وتسهيل النحو وتجديد الفنون الأدبية بقي الدرويش مفتخرا بالأصالة محافظا على ما ترك الأولون «وهو محافظ فيما كتب وألّف وحقق متمسك بالقديم أدبا ولغة شعرا ونثرا، وظلت لغته سليمة رصينة صافية »[1] ومكانته محفوظة ومؤلفاته خير عون للطالب الراغب في تحصيل العلم على أصله، بعيدا عن مغريات الزمن الحاضر والثقافات الوافدة، وقد ذكرت المصادر الحديثة أن الدرويش ولد في أحضان سوريا وتحديدا «في مدينة حمص سنة 1908، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في بعض مدارس حمص ونال الإجازة من دار المعلمين العليا بدمشق »[2]، وهذا يعني أنّه كان حريصا على طلب العلم النافع مجتهدا في تحصيله منذ الصغر، وقد نال من صنوف العلم القسط الكبير فلم يكتف بدراسة تخصص واحد فبرع في نظم الشعر وتفقه في فنون الأدب ودرّس العلوم اللغوية وألّف في النحو والدراسات القرآنية وقد عرف عنه أنّه «أديب مبدع وشاعر مجدد

[1] محي الدين الدرويش إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص 19.
[2] المصدر نفسه، ص 18.

وعالم باللغة والنحو تخرج على يديه أجيال من الأدباء ومحبّي اللغة والبلاغة »[1]فأفاد واستفاد ، تعلم وعلّم ، وترك للأجيال الناشئة رصيدا لغويا وأدبيا لا ينفد، قضى الدرويش سنين عمره متنقلا بين المدارس حيث «عمل في سلك التعليم مدرسا للغة العربية في مدارس حمص الرسمية والخاصة لمدة طويلة تربو عن الأربعين عاما»[2] .وهذا يعني أنّ مؤلفاته كانت مستمدة من صميم الواقع التعليمي وموضوعة لتحسين الأوضاع الفكرية لطلاب المدارس.

نتاجه العلمي:

لقد تميزت مؤلفات محي الدرويش عنها عند النحّاس ذلك أنّ جلّ الكتب التي ألفها كانت ذات طابع إبداعي، ومن أشهر المؤلفات التي تطالعك وأنت تبحث في حياة الدرويش الإبداعية ما يلي [3]:

- تقويم اليد واللسان بالإشتراك مع الشاعر رفيق فاخوري
- ديوان ديك الجن الحمصي ، جمعه بالاشتراك مع عبد المعين الملوحي
- الصور الفنية المقتبسة من القرآن الكريم : سلسلة من الدراسات أصدرها في مجلة الخمائل
- حديث الثلاثاء : نشره مسلسلا في جريدة السوري الجديد الحمصية
- صور زاهية من تاريخنا العربي سلسلة من الدراسات
- سوانح وبوارح : سلسلة نشرت في الصحف المحلية
- ديوان شعر كبير مخطوط
- إعراب القرآن وبيانه

وهذه المصنفات خير دليل على سعة علم المصنف وقدرته على التنقل بين أصناف العلم مدرسا ومؤلفا يحلو له الفخار، توفي الدرويش عن عمر يناهز الرابع والسبعين سنة وذلك بتاريخ التاسع من أيلول سنة 1982 ، بعد عطاء طويل وصبر وأناة وها نحن الآن نعرض لكتابه القيّم إعراب القرآن وبيانه للمدارسة والتحليل.

---

[1] محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 18 .

[3] المصدر نفسه، ص 18.

رابعا: وصف عام لكتاب إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش

الكتاب الثاني محل الدراسة موسوم بعنوان (إعراب القرآن الكريم وبيانه)، وقد ألّف من طرف المفكر السوري محي الدين الدرويش« وقد استغرق من حياته عشرين عاما وهو في ثلاثين جزءا »[1] فقد صدر الكتاب لأول مرة بعدد أجزاء القرآن الكريم ثمّ جمع في عشر مجلدات وأخيرا تم ترتيبه وفق ثمان مجلدات ،ووفقا لتوقيع المؤلف في مقدمة كتابه فإن الطبعة الأولى للكتاب صدرت سنة 1980، تم أعيد طبعه سبع مرات والنسخة التي بين أيدينا تقع ضمن الطبعة السابعة التي كانت بتاريخ 1998، وفيها جمع الكتاب في ثمان مجلدات وكلّ مجلد ضمّ بين طياته أربعة أجزاء من القرآن، باستثناء المجلد الثامن الذي يقع ضمن جزئين والكتاب في مجمله مستهل بمقدمة قصيرة، وفي ما يلي تفصيل للهيكل الكتاب .

- **المجلد الأول** : يبتدئ بإعراب الاستعاذة ثمّ البسملة ثمّ إعراب سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران إلى غاية الآية الثالثة والعشرين من سورة النساء ، ويقع هذا المجلد في ستةوخمسين وستمائة صفحة
- **المجلد الثاني** : يبدأ من الآية 24من سورة النساء ثم المائدة إلى أن ينتهي بالآية 87 من سورة الأعراف وعدد صفحاته أربع وستمائة .
- **المجلد الثالث** :بدايته من الآية 88من سورة الأعراف ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى إعراب سورة الأنفال والتوبة ويونس ، وهود إلى أن يصل إلى الآية 53 من سورة يوسف.
- **المجلد الرابع** : ينطلق من حيث انتهى المجلد الثالث ثمّ يعرج على إعراب سورة الرعد وإبراهيم والحجر، والنحل، الإسراء، الكهف، مريم ،طه، يحتوي هذا المجلد على ثمان وخمسين وسبعمائة صفحة.
- **المجلد الخامس** :يضم إعراب ثان سور كاملة هي: الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، الشعراء، النمل والقصص ، وأربعا وأربعين آية من سورة العنكبوت، ضمن إحدى عشرة وسبعمائة صفحة.
- **المجلد السادس** :يبدأ من الآية 45 من سورة العنكبوت ثم سورة الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر ، غافر، وينتهي المجلد عند الآية 44 من سورة فصلت، يبلغ تعداد صفحاته اثنين وخمسين وستمائة صفحة .

[1] الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص 18.

- **المجلد السابع** :يعرب ها المجلد ما تبقى من سورة فصلت ثم الشورى أو الزخرف والدخان ، والجاثية، الأحقاف، ومحمد، الفتح، الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمان، الواقعة ، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف ،الجمعة ، المنافقون، التغابن،والطلاق،التحريم،ويقع هذا المجلد في ست وسبعين وخمسمائة صفحة.
- **المجلد الثامن** :يعرب ما تبقى من سور القرآن الكريم بدءا بسورة الملك إلى نهاية سورة الناس ، يضم ثلاثا وستين وأربعمائة صفحة .

المبحث الثاني: كتاب إعراب القرآن للنحّاس وإعراب القرآن وبيانه للدرويش، دراسة مقارنة:

إذا سلمنا مقدما باحتمال وجود فوارق منهجية منطقية، تفرض نفسها بين مؤلف وآخر في العصر نفسه،ناهيك عن عصرين متباعدين زمنيا، حينها يحق لنا أن نتساءل فيما عساها تختلف الكتب القديمة عن الحديثة في إعراب القرآن؟ ولماذا تختلف أصلا إن كان المورد الذي تنهل منه مادتها واحدا، وهو القرآن الكريم ؟،

إلاّ أنّ المتتبع لسيرورة وصيرورة التأليف في إعراب لقرآن الكريم، يجد أنّ هناك فوارق منهجية يمكن إرجاعها إلى اختلافهم منهجا ، مصطلحا ومادة، وهذا ما ستثبته المراحل اللاحقة من البحث.

أوّلا: من حيث المنهج:

ستكون البداية مع المنهج باعتباره من المقومات الأساسية التي ينبني عليها البحث، والتي يجب توفّرها فيه، لذلك كان لزاما على كلّ باحث أو مؤلف في أي مجال كان، أن يختار لنفسه منهجا يسير وفقه حتّى يرسم له معالم ما هو مقدم عليه في موضوعه، والحديث عن المقارنة بين الكتابين محلّ الدراسة من حيث المنهج، يقودنا لا محالة إلى التفريق بين منهج الكتاب، والمتمثل فيما ارتآه صاحبه له من جهة، وبين النهج الذي سار عليه المؤلِفان في إعراب القرآن الكريم من خلال الكتابين محلّ المقارنة من جهة أخرى.

قد كفانا النحّاس مؤونة البحث والتفتيش عن منهج أبي جعفر النحاس في كتابه الموسوم "بـ(إعراب القرآن)،ذلك أنّه قد صرّح في مقدمة كتابه عن منهجه قائلا: «هذا كتاب أذكر فيه ،إن شاء الله إعراب القرآن والقراءات التي تحتاج أن يبيّن إعرابها، والعلل منها، ولا أخليه من اختلاف النحويين وما يحتاج إليه من المعاني،وما أجازه بعضهم ومنعه بعضهم،وزيادات في المعاني وشرح لها من المجموع واللغات وسَوقِ كلّ لغة إلى أصحابها، ولعله يمرّ الشيء غير مشبع (...)ومذهبنا الإيجاز،والمجيء بالنكتة في موضعها من غير إطالة، وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب وما شاكله بعون الله وحسن توفيقه»[1].وهكذا فإنّ أي باحث يرغب في إلقاء الضوء على الكتاب، سيجد أنّ مقدمة المؤلف عون له لأنّها- وإن اختصرت عبارتها وكثّفت مفرداتها- دالة بوضوح عن منهج صاحب الكتاب وقصده من تأليفه ويستطيع أن يستشف من خلالها معالم فكر أبي جعفر النحّاس في كتابه هذا.

يتبدّى من خلال هذا القول أنّ الإعراب عند النحّاس كان ضميما لمختلف ما تم ذكره من قراءات وتفسير وغيرها، إن لم نقل أنّ مصطلح الإعراب يضمها جميعا، ولعل هذا ما جعل النحاس يطلق عليه عنوان "إعراب القرآن" ذلك أنّنا إذا رجعنا إلى كتابه هذا نلمح أنّ الإعراب بمفهومه الحديث، مقارنة بما شاكله من معان وقراءات يُعد جزءا صغيرا إذا ما قورن بها، وهذا مفاده أنّ الإعراب في نظر أبي جعفر النحاس هو أعم من ما هو

[1] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص 09.

في وقتنا الحاضر والذي ينصب اهتمامه بأواخر الكلم، وإذا كان من تعرض لتحقيق الكتاب أمثال خالد العلي و زهير غازي زاهد، قد تغافلوا عن إيراد مقصود النحاس من إعراب القرآن الذي عنون به كتابه، فإنّ من اللغويين الأكفاء من تفطن لذلك وعاب عليهم إهمالهم هذا الأمر وهو على درجة كبيرة من الأهمية؛كون العنوان مرآة لمحتوى الكتاب في غالب الأحيان، فهذا أحمد مختار عمر في كتابه دراسات لغوية في القرآن الكريم يردّ على هذا التغافل ويجنبنا شراك التخمين والتأويل في مدلول إعراب القرآن الكريم ،مبيّنا أنّ قصد النحّاس من الإعراب هو «التحليل اللغوي العام الذي يغطي مشاكل ومسائل تدخل ضمن مباحث اللغة، والأدب، و القرآن، و الحديث، والتفسير، وغيرها من الفروع التي تساعد على فهم النّص والإعراب عن مضمونه ومراميه »[1]، وهذا يفسّر الخلط بين فروع النحو ومباحث القراءات والتفسير وغيرها من العلوم، التي جعلها النحاس وسائل للإعراب، أو لنقل أنّ هذه المباحث مجتمعة تشكّل مفهومه لمصطلح الإعراب، وقد سبق وذكرنا أنّ دلالة الإعراب عند النحاة القدماء هي ما جعل لإبانة المعنى وإيضاحه، فيكون الإعراب أوسع من أن يحصر في تحديد أواخر الكلم، يحق لنا القول أخيرا أنّ النحاس بهذا المعنى قد استطاع أن يضع لنا موسوعة لغوية تخدم القارئ وتزوده بصنوف المعارف المختلفة المتاحة في ذلك العصر، وينفي عنه تهمة عدم الالتزام بموضوع كتابه .

وإذا كان مفهوم الإعراب عند أبي جعفر النحاس واسع الدلالة متشعب الفروع والمباحث، فإنّ دلالته تضيق في كتاب الدرويش، حيث قصره على رصد تغيّر أواخر الكلم وهو مدار الإعراب في العصر الحديث، وإذا كان النحاس قد صرّح بمنهجه في مقدمة كتابه بوضوح و إيجاز كبيرين، فإنّ الدرويش قد أغفل البيان عن منهجه في كتابه معتبرا أنّ الكتاب كفيل بالترجمة لنفسه، ولقارئه أن يدرك المنهج العام للدرويش بعد أن يقرأ الكتاب كاملا أو على الأقل يتصفح أجزاء منه، وكأنّه يرفض المعلومات الجاهزة، ويدعو القارئ بطريقة غير مباشرة، إلى ضرورة التعب وإعمال الفكر للوصول إلى كُنهِ الكتاب، لأنّه لن يقدم معالمه جاهزة في المقدمة كما هو دأب العلماء، وكأنّه أراد التفرد حتّى في صناعة استهلال الكتاب، واقتصر فيها على القول:«هذا كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه، أتيح له أن يظهر بعد أن طال احتجابه وكثر طلابه، ولعله أول كتاب جمع البيان فأوعى، ورسم لشُداة الآداب السبيل الأقوم والأسنى، ولست أدلّ به لأنّه من أئمة البيان مقتبس ولمن رام البيان نعم الملتمس،

[1] أحمد مختار عمر: دراسات لغوية في القرآن الكريم ، ص51 .

ولن أتحدث عنه فهو أولى بالحديث عن نفسه »[1]. فكما نلاحظ أنّ هذا القول لا يبين بدقة عن نهجه في الكتاب وأن المتأمل في قوله يجد أن البيان قد طغى بالذكر على الإعراب، هنا يُساءل القارئ نفسه عن مقصود البيان في هذا الموضع، خاصة وأنّ عنوان الكتاب ينطق بإعرابه لأي القرآن أولا، وبغض النظر أنّه قد ضمّ إلى إعرابه بيانه إلا أنّ هذا ليس مسوغا كافيا لغياب الإعراب في معرض حديثه عن قصده من التأليف.وتطفوا على سطح التأمل والتفكر تخمينات عديدة تحاول تفسير منهج الدرويش في كتابه، هل هو يحاول أن يلفت انتباهنا إلى ما نادى به الأقدمون وما تبناه النحاس في كتابه، وأن مقصوده من البيان كل ماله يد في الإعراب عن معان آيات القرآن الكريم.إلاّ دلالة الإعراب لديه تفيد مباشرة دون تخمين وتأويل إلى تغيّر أواخر الكلم خاصة وأن الدرويش كما نعلم لغوي ونحوي محدث،كما أنّ البيان الذي يُعنى بكشف جماليات الأسلوب والمعاني في كتاب الله كان مقصودا كونه جاء معاقبا للإعراب وهذا ما سنكتشفه من خلال دراسة هذا الكتاب .

وبالاطلاع على كتاب الدرويش واستئناسا بما جاء في مقدمته نلمح ذلك الفصل بين مباحث كتابه من إعراب ومعان وبلاغة، وهذا ما لم يكن في كتاب النحاس الذي جعل كلّ هذه العلوم تدخل تحت رداء واحد دون غير أنه لم يكن قاصدا ذلك الحشد، في حين قصد الدرويش ذلك، حيث سعى إلى جمع أشتات العلوم ووضعها بين يدي القارئ، فقد أدرج ما شرح به معاني الآيات ضمن نطاق أسماه "**اللغة**" و ما يبحث في الوظيفة النحوية والإعرابية ضمن نطاق "**الإعراب** " وكذا فعل مع **البلاغة** وجاءت **الفوائد** مبثوثة في تضاعيف كتابه حسب ما تقتضيه السياقات.

وانطلاقا ممّا سبق تقديمه يتّضح أنّ الكتابين رغم ما يبدوان من تعارض واختلاف إلاّ أنّ طريقة تناولهما لقضية إعراب القرآن تبرز بعض خيوط التشابه والاشتراك، إذ أنّ كل منهما قد تبنى المنهج التحليلي في عرض الأعاريب المختلفة لآي القرآن الكريم وقوام هذا المنهج أن «يتتبع المعرب فيه الآيات حسب ترتيب المصحف ويبيّن ما يتعلق بكلّ آية من إعراب ومعاني ألفاظها، أو تصريفها، أو وجوهها البلاغية ونحو ذلك»[2]أي أنّ المعرب وفق هذا المنهج يعمد إلى آيات القرآن التي يريد أن يعربها، فيفككها كلمة كلمة حتى يتسنى له معرفة وظيفتها الإعرابية إفرادا وتركيبا، ثم بعد ذلك يأتي إلى استخراج ما حوته هذه الآيات من قراءات، وبيان،

[1] محي الدين الدرويش:إعراب القرآن بيانه، ص 21.

[2] يوسف بن خلف العيساوي: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان،ص 169.

وتفسير، حتى تكون له دليلا على صحة إعرابه، وهذا ما يمكن إسقاطه على منهج المؤلفين في إعراب القرآن فقد سلكا الطريق نفسه في بيان ما يتعلق بكل آية وتحليلها من ناحية لغوية دلالية ونحوية وصرفيةوبيانية ...إلخ .

-طريقة العرض في الكتابين:

إذا كان كلّ من النحّاس والدرويش قد اشتركا في اتخاذ التحليل منهجا لبيان إعراب القرآن الكريم، فهذا لا يعني تشابههما واعتمادهما الطريقة ذاتها في عرض ومعالجة إعراب القرآن، فأسلوب النحاس وطريقته في إعراب الآيات القرآنية لا يسير وفق نمط واحد، فتراه يذكر السورة التي هو بصدد إعرابها فيفكك كلّ آية إلى كلمات سواء كانت بتسلسل أم لا، ولهذا يُتوجب على القارئ أن يكون حافظا لآيات القرآن الكريم حتى يستطيع الربط بينها، «فيختار من كلّ آية التراكيب أو الكلمات التي بها شيء من التعقيد في الإعراب، ثمّ يناقش ما تعلق بالقراءات فيها، كما يعرض آراء النحاة ويستحسن ما يراه حسنا ويستقبح ما يراه قبيحا، سواء أكانت هذه الآراء للبصريين أو للكوفيين مع ميل كما تقدم إلى مذهب البصريين»[1]،وهذه هي الطريقة الأكثر اعتمادا في كتابه، ففي إعرابه لقوله تعالى:﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[سورة البقرة، الآية:07] بدأ بإعراب ختم على أنّه «فعل ماض واسم الله جلّ وعزّ مرفوع بالفعل»[2] فقد استخدم التعبير غير المباشر فلم يسم الفاعل مباشرة وإنّما أعطى إيحاءات تدل عليه كـ"رفعه بالفعل"، (**على قلوبهم**): «مخفوض بـ "على" و الهاء والميم خفض بالإضافة، وعلى سمعهم مثله»[3]، بعدها يحاول مناقشة هذا الجزء من الآية، طارحا على نفسه سؤالا مفاده لماذا لم يقل على أسماعهم وقد قال على قلوبهم فيجيب نفسه بنفسه فيقول:«وفيه ثلاثة أجوبة منها: أن يكون السمع فلم يجمع، وقيل هو واحد يؤدي عن الجميع، وقيل التقدير على موضع سمعهم»[4]، ثمّ يرجع فيكمل الآية فيقول **وعلى أبصارهم غشاوة** رفع بالابتداء وعند الكوفيين بالصفة، وبعدها يسترسل في ذكر القراءات الواردة في لفظة "غشاوة" يقول : قرأ الحسن

[1] طلحة آدم أحمد صالح:مآخذ أبي جعفر النحّاس النحوية في كتابه إعراب القرآن على أبي زكريا الفرّاء في كتابه معاني القرآن ، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير في الآداب في اللغة العربية ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2010م، ص70.

[2] أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن، ص20.

[3] أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن،ص 20.

[4] المصدر نفسه، ص21.

(غُشاوة) بضمّ الغين، وقرأ أبو حيوة (غشاوة) بالفتح، فبعد أن عرضها يختار ما يراه الأسلم والأرجح فستحسن القراءة التي بالكسر أي (غِشاوة) ومعللا ما ذهب إليه بأنّ العرب تستعمل في كل ما كان مشتملا على الشيء نحو عِمامة وقِلادة[1].

والناظر إلى إعراب القرآن للنحاس انطلاقا من هذا المثال يتضح أن الإعراب في حقيقة الأمر لا يمثل إلاّ جزءا صغيرا من مادته، و يحق القول أنّ الحظ الأوفر من الاهتمام كان من نصيب القراءات القرآنية والمعاني ثم الخلاف النحوي الحاصل في إعرابها بين مدرستي الكوفة والبصرة وتعليلاتهما والشواهد المنتقاة من أشعار العرب ولغاتها بالإضافة إلى أن ترتيبه لهذه القضايا لم يكن موحدا، فتارة يبدأ بالإعراب الذي هو تغيرّ أواخر الكلم بإيجاز ويتبعه بباقي العناصر كما هو الحال في الآية السابقة وتارة يبدأ بالمعنى اللغوي كما فعل مع الآية الثامنة والثمانين من سورة طه:﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[سورة طه، الآية:88] حيث أعطى معاني الآية نقلا عن أهل التفسير قائلا:« قيل معناه متجسدا عظيما، وقيل معناه جسدا لا روح فيه »[2].فالناظر في كتاب النحّاس يلحظ أنّه لم يتملص تماما من ربط الإعراب بالمعنى وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على الوثاق القوي بينهما، وأحيانا يسبق إلى إيراد القراءات التي تحتملها اللفظة القرآنية متجاهلا الإعراب والتفسير فيعطي وجوهها مبديا رأيه فيها كما فعل في عرضه للآية من سورة البقرة ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[البقرة، الآية:185] إذ أتى على ذكر ما نصّت عليه هذه الآية من قراءات ناسبا كلّ قراءة إلى أصحابها، والتي بلغت أوجهها ست أوجه، وبعد أن قام بعرض القراءات حاول تعليل كل وجه بالاستناد إلى قواعد العربية ولغاتها[3] فإيراد المعنى المتعلق بالآية الكريمة دون إعرابها من المآخذ التي يمكن توجيهها لكتاب النحّاس، إذ تراه ينجرّ وراء الأمور الخارجة عن الإعراب كالمعاني والقراءات للقرآن على حساب إعرابها، وكان الأجدر به التوفيق فيما بينها دون إخلال ولو طغى الإعراب فيها لكان أفضل، ذلك أنّ مقصده من تأليف الكتاب هو الإعراب وبهذا صرّح في مقدمته كما أسلفنا.

[1] المصدر نفسه، ص21.
[2] المصدرنفسه ص 592 .
[3] ينظر: النحّاس:إعراب القرآن، ص287.

واستنادا على ما تمّ تقديمه يمكن القول أنّ كتاب النحّاس الذي بين أيدينا –رغم ما حواه من مادة علمية مكثفة– إلاّ أنّ هذا التكثيف في ذكر الأقوال والمعاني والقراءات وكلّ ما من شأنه أن يسهم في جلاء وبيان معنى الآية وإعرابها قد أضفى على كتابه بعض الاضطراب في نظام مباحث كتابه ومنهجه في إعراب القرآن.في حين نجد الدرويش أكثر انتظاما في عرضه لآيات القرآن الكريم، حيث حدد العناصر التي ارتآها لكتابه عارضا بذلك الآية محلّ الدراسة كاملة وبدون اقتطاع والتزم إعراب ألفاظها بالتسلسل الذي وردت به، هذا عن جانب الإعراب، أمّا في جانبي اللغة والبلاغة والفوائد فقد كانت انتقائيا حيث يختار من ألفاظ الآية ما يراه يستحق الشرح ويترك الأخرى بدون شرح، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[سورة البقرة، الآية: 172-173].نلاحظ أن الآيتين طويلتان نسبيا لكنه عندما أتى لشرح معانيهما اكتفى بشرح ثلاث كلمات هي: الإهلال والباغي والعادي يتبين ذلك في قوله : «الإهلال سبق القول أنّه رفع الصوت عند مباشرة أمر من الأمور وقد كان ديدنهم في جاهليتهم أن يرفعوا أصواتهم عند مباشرتهم هذه الأمور كالذبح وغيره، فيقولون باسم اللات والعزّى، باغ: ظالم ، عاد :معتد على غيره »[1] .و يمكن القول أنّ الدرويش يختار من الآية ما يراه غير واضح الدلالة،ولكنّ المتصفح لكتابه وبالأخص ما تعلق الأمر بشرحه اللغوي للآيات القرآنية يجده قد أبان حتّى عن المعاني السهلة والواضحة،فإذا كان معنى ﴿ وَمَآ أُهِلَّ ﴾ملتبس أو غير واضح فإنّ هذا الالتباس لا يظهر على كلّ من ﴿ بَاغٖ وَلَا عَادٖ ﴾لأنّ دلالتهما ومعناهما بيّنٌ ولا يحتاج إلى توضيح، ويمكن القول أنّ الدرويش كان انتقائيا في شرحه للآيات أمّا الإعراب فقد أتى بجميع ألفاظ القرآن الكريم وإن كان بعضها مختصرا، ففي إعرابه للآية السابقة من سورة البقرة ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾يقول: «﴿ خَتَمَ ﴾فعل ماض و﴿ ٱللَّهُ ﴾فاعل وجار

[1] محي الدين الدرويش:إعراب القرآن وبيانه،ج1، ص218.

ومجرور﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾متعلقان بختم،و﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾عطف على قوله "وعلى قلوبهم" و﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ مبتدأ مؤخر، ولهم الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف﴿ عَذَابٌ ﴾مبتدأ مؤخر﴿ عَظِيمٌ ﴾نعت لعذاب»[1]، فقد أتى بالإعراب أوّلا كعنصر مستقل بعد أعطى دلالة الآية اللغوية ,أتبعه بلمسات بلاغية حيث يبيّن أنّ بداية الآية تشتمل على صورة بيانية يقول: «في إسناد الختم إلى القلوب استعارة تمثيلية،فقد شُبهت قلوبهم في نبوّها عن الحقّ وعدم الإصغاء إليها بحال القلوب التي ختم الله عليها، وهي قلوب البهائم، وهو تشبيه معقول بمحسوس، أو هو مجاز عقلي،وهو باب واسع عند العرب يقولون سال بهم الوادي إذا هلكوا، وطارت بفلان العنقاء إذا طالت غيبته.وأنّ الغاية من تنكير العذاب إشارة إلى أنّ أنّه نوع من مجهول الكمّ والكيف، ووصفه بعظيم لدفع الإيهام بقلته وندرته، والتأكيد بأنه بالغ الأهمية حدّ العظمة»[2] وديدن الدرويش بعد ذلك أنّه يقوم بتقديم بعضالفوائد التي تحتملها الآية الكريمة والتي يورد فيها عدة مباحث كالصرف، وأسباب النزول، ...ولعلّ هذه الأمور ممثلة في الجوانب البلاغية والفوائد المبثوثة هنا وهناك هي الجديد الذي أتى به الدرويش في كتابه إعراب القرآن وبيانه.

ويظهر من خلال هذا الأنموذج أنّ طريقة الدرويش في إعراب القرآن فرغم حداثته إلاّ أنّه يحاول محاكاة القدماء في تأليفهم وما تقديمه المعنى على الإعراب إلاّ صدى لما نادى به النحاة القدامى من جهة، ولينبّه على قضية في غاية الأهمية والتي مفادها أنّ الإعراب –كما قيل– فرع المعنى وأنّ الإعراب تابع للمعنى ولا ينفك عنه خاصة إذا تعلق الأمر بالنّص القرآني فعلى الإعراب أن يكون معاضدا للمعنى، والدرويش من هذه الناحية يتوافق مع القدماء في الاهتمام بالجانب اللغوي ومع النحّاس الذي هو نظيره في المقارنة.أمّا عن طريقته في الإعراب فإنّ الدرويش قد تبنى منحى تيسير النحو وهذه خاصية التأليف في العصر الحديث، ذلك أنّ الكتاب إذا مااستصعب على الفهم نافرته الطباع ولن تستسغه النفوس ولهذا حاول محي الدين الدرويش أن يجمع بين الأصالة والحداثة ويتجلى أصالته من خلال جمعه لصنوف العلوم ولكنطريقة متناسقة ومرتبة، على خلاف

[1] محي الدين الدرويش:إعراب القرآن وبيانه،ج1، ص43.
[2] المصدر نفسه، ص43.

النحّاس الذي حشدها حشدا ساهم في اضطراب كتابه، ويجد القارئ له أنّه في مفترق الآراء،وأما الحداثة ويظهر ذلك في إضفائه لسمة التيسير والتسهيل في عرض إعراب آي القرآن الكريم،ولما كان المثال أصدق مقال لتوضيح المقصود، فيمكن أن نضرب مثالا يجلّي البون بين إعراب النحّاس وإعراب الدرويش من خلال كتابيهما، فالنحّاس في إعرابه للآية ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[سورة الكهف، الآية:73] يجمل دون تفصيل يقول:« مفعولان»[1] في حين أعرابها الدرويش على النحو الآتي: لا ناهية، ﴿ تُؤَاخِذْنِي ﴾فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والياء مفعول به،﴿ مِنْ أَمْرِي ﴾حال؛ لأنّه في الأصل كان صفة لعسرا، مفعول به ثان لـ﴿ تُرْهِقْنِي ﴾.

من المعلوم أن القدامى –والنحاة منهم– قد عُرفوا بالتوسع فيما ألفوه وقالوه وهذا ما نجده عن النحاّس في كتابه (إعراب القرآن) فقد اتسعت مباحثه لتشمل العديد من صنوف العلوم والمعارف، وأنّ التأليف مع مرور الوقت يسير نحو التخصص ولكنّ هذا الأمر لا ينطبق على هذين الرجلين خاصة في الإعراب كمبحث من مباحث كتابيهما فبالنظر إلى كلا الإعرابين يمكن القول: أن النحّاس ومع أنه من زمرة النحّاة القدامى إلاّ أنّه قد أجمل إجمالا مخلا –إن صح التعبير– ذلك أنّ إعرابه للآية يحمل من الالتباس ما يصعب على الدارس المبتدئ معرفته وفهمه، وربّما ويصبح القارئ له يتخبّط في متاهات التأويل، وكأنّه يريد أن يقول أن هذا الكتاب ليس موجها لمن لا علم له ولا بصر في علم النحو ولا لمن لا يمتلك ناصية الإعراب، فإعرابه للآية بأكملها على أنّها مفعولان يمكن أن يفسّر بأنّه أراد الإعراب المحلي أي إعراب جمل لا إعراب مفردات ولكن هذا لا يسوغ له الإحجام عن بيان الجملتين محلّ نصب المفعول، في حين نجد أنّ نظيره الدرويش قد فصّل فيإعرابه مبيّنا كلّ كلمة على حدة.

ويمكن القول أنّ الاختلاف الحاصل بينهما في مسألة الإعراب ليس اختلاف تعارض وتضاد؛ وإنّما هو اختلاف إجمال وتفصيل وتعقيد وتبسيط، فكما نعلم أن مصنفات التراث تتسم بطابع التعقيد نوعا ما بينما يتّجه التأليف نحو السهولة واليسر في العصر الحديث،وهذا ما تبناه الدرويش في كتابه، فإذا كان النحّاس يعرب الكلمة، بأنّها مبتدأ وذلك خبر، فإنّ الدرويش يحاول تبسيط الإعراب ما استطاع إليه سبيلا، وهذا جوهر

[1] النحّاس: إعراب القرآن، ص550.

الاختلاف بينهما ولكنّ تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النزوع نحو الإجمال في كتاب النحّاس يمسّ جانب الإعراب فقط، ففي مجال القراءات فقد نجده قد فصّل فيها ذاكرا وجوهها مع عزوها إلى أصحابها من القرّاء، ومن خلال ما سبق ذكره، وما صُبغ به منهج الكتابين، يمكن القول: أنّ السبب وراء انتحاء الدرويش لسبيل التيسير ونهج التسهيل راجع إلى أنّ هدفه من خلال الكتاب تعليمي،ويتجلى ذلك من خلال تفصيله لمباحث كتابه و فصلها عن بعضها البعض تسهيلا على طالب العلم، في حين نجد النحّاس يتجاوز الأمور البديهية لفنّ الإعراب إلى الأخذ من كل علم بطرف فيستشف أنّ مسعاه علمي بحت.

ثانيا من حيث المصطلح:

إذا كانت المصطلحات مفاتيح العلوم، فإنّ تحديد مدلولها ومجال استعمالها أمر ضروري لكل من يقحم نفسه في غمار البحث العلمي، ومعلومٌ لدينا أنّ لكل حقل معرفي وميدان بحث مصطلحات تؤطر حدوده، وترسم سماته، وتحدد معالمه، متميزةً بذلك عن مصطلحات الحقول العلمية والمعرفية الأخرى؛ لأنّها ماهية هذا النوع من العلوم أو ذلك، فمثلا مصطلحات النحو تختلف عن مصطلحات الفقه والتفسير وإن كانت متأثرة بهما إلى حدّ كبير ومصطلحات الفيزياء تختلف عن مصطلحات الرياضيات أو المنطق أو الفلسفة لان لكل مجال ذيوعه وانتشاره واستعماله، وقد سعي علماء النحو منذ وضع اللبنات الأولى لصرحه علي يد أبي الأسود الدؤلي وضع مصطلحات وإرساء ألفاظ تعبر عن توجهاتهم وتعكس أفكارهم وأرائهم وتكون مفاتيح لهذا العلم الجديد، وبعد أن ظهر مفهوم المدرسة مع البصريين قطع المصطلح النحوي أشواطا كبيرة، وأثبتت العديد من المصطلحات ومع ميلاد المدرسة الكوفية وتوسع الخلاف بينها وبين سابقتها سعت هذه الأخيرة سعيا ملحا لإثبات الذات من خلال وضع مصطلحات مغايرة للمصطلحات التي استخدمها البصريون، وبالفعل حدث ذلك وتناقلت الكتب المصطلحين البصري والكوفي جنبا إلي جنب وصار من جاء بعدهم من رواد المدارس الأندلسية والبغدادية والمصرية يلتزمون مصطلحاتهم في غالب الأحيان، وهكذا أصبح لمعرفة انتماء المصطلح ودلالته دور كبير في تحديد معالم المذهب الذي يتبناه، وهذا ما سنحاول تأكيده من خلال دراسة طبيعة الاستعمال المصطلحي الذي عبر كل من أبي جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن والدرويش في (كتابه إعراب

القرآن وبيانه)، وقبل الحديث عن هذا الأمر سوف نعرض لأسماء السور كما جاءت في الكتابين لنرى إن كان هناك اتفاق أم اختلاف في تسميتها بين الكتابين من جهة والكتابين والمصحف من جهة أخرى.

1-أسماء السور في كتاب أبي جعفر النّحّاس:

بعد تتبع كتاب إعراب القران لأبي جعفر النحاس من بدايته إلى نهايته تبدت لنا أسماء السور في كتابه علي النحو التالي:

اسم السورة عند النحاس	اسم السورة في المصحف	اسم السورة النحاس	اسم السورة المصحف
أم الكتاب	الفاتحة	براءة	التوبة
البقرة	البقرة	يونس عليه السلام	يونس
آل عمران	آل عمران	هود عليه السلام	هود
النساء	النساء	يوسف عليه السلام	يوسف
المائدة	المائدة	الرعد	الرعد
الأنعام	الأنعام	إبراهيم	إبراهيم عليه السلام
الأعراف	الأعراف	الحجر	الحجر
الأنفال	الأنفال	النحل	النحل
الإسراء	الإسراء	الدخان	الدخان
الكهف	الكهف	الجاثية	الجاثية
مريم	مريم	الأحقاف	الأحقاف
طه	طه	محمد	محمد
الأنبياء	الأنبياء	الفتح	الفتح
الحج	الحج	الحجرات	الحجرات
المؤمنون	المؤمنون	ق	ق
النّور	النّور	الذاريات	الذاريات
الفرقان	الفرقان	الطور	الطور
الشعراء	الشعراء	النجم	النجم

النمل	النمل	القمر	القمر
القصص	الحشر	الرحمان	الرحمان
العنكبوت	الممتحنة	الواقعة	الواقعة
الروم	الروم	الحديد	الحديد
لقمان	لقمان	المجادلة	المجادلة
السجدة	السجدة	الحشر	الحشر
الأحزاب	الأحزاب	الممتحنة	الممتحنة
سبأ	سبأ	الصف	الصف
فاطر	فاطر	الجمعة	الجمعة
يس	يس	المنافقون	المنافقون
الصافات	الصافات	التغابن	التغابن
ص	ص	الطلاق	الطلاق
الزمر	الزمر	التحريم	التحريم
غافر	غافر	الملك	الملك
فصلت	فصلت	ن	القلم
الشورى	الشورى	الحاقة	الحاقة
الزخرف	الزخرف	سأل سائل	المعارج
نوح	نوح	البلد	البلد
الجّن	الجّن	الشمس	الشمس
المزمل	المزمل	الليل	الليل
المدثر	المدثر	الضحى	الضحى
القيامة	القيامة	ألم نشرح	الشرح
الإنسان	الإنسان	إذا زلزلت	الزلزلة
المرسلات	المرسلات	العاديات	العاديات
النبأ	النبأ	القارعة	القارعة
النازعات	النازعات	التكاثر	التكاثر
عبس	عبس	العصر	العصر

الشمس	التكوير	الهُمزة	الهُمزة
الانفطار	الانفطار	الفيل	الفيل
المطففين	المطففين	لإيلاف	قريش
الانشقاق	الانشقاق	الماعون	الماعون
البروج	البروج	الكوثر	الكوثر
الطارق	الطارق	الكافرون	الكافرون
الأعلى	الأعلى	إذا جاء نصر الله	النصر
الغاشية	الغاشية	تبت	المسد
التين	التين	قل هو الله أحد	الإخلاص
ليلة القدر	القدر	الفلق	الفلق
البينة	البينة	الناس	الناس
الفجر	الفجر		

من الجدول يتضح لنا أن النحاس قد عمد إلى تسمية بعض سور القران بأسماء مغايرة لأسمائها في المصحف وهذه التسمية ليست اجتهادية، فقد برزت في كتب التفسير والسور التي لوحظ فيها استعمال النحاس لأسماء أخرى إلى جانب الاسم الأصلي هي:

سورة الفاتحة :سمّاها النحاس بأم القران وفي كتب التفسير ما يؤيد هذه التسمية فقد ورد عن ابن كثير(ت774هـ) في تفسير قوله في بداية تفسير سورة الفاتحة: «يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب ويقال لها أم الكتاب عند الجمهور »[1] وقد عرف هذا المصطلح منذ عهد الرسول الكريم محمد صلي الله عليه وسلم وذلك مصداقا لقوله «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثان والقرآن العظيم»[2] فهذا يؤكد أن للفاتحة كغيرها من السور أسماء أخرى والنحاس في كتابه اختار أم القرآن فليس المصطلح بدعا من عنده، وهل يستطيع أحد التجرؤ علي تغيير سور القران كيفما شاء؟.

[1] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة،دار طيبة، ط2،1999م، ج1، ص 101.

[2] المرجع نفسه، ص 101.

سورة فصلت :أطلق عليها اسم السجدة وسمّى سورة الشورى باسم "**حم عسق**"، ولعل مردّ ذلك إلى أن بداية السورة﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾وإلى مثل ذلك ذهب في تسميته بسورة الدخان "**بحم**" حيث أن بدايته﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾وإطلاقه "**ن**" على سورة القلم التي بدايتها﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾و"**سأل سائل**" على سورة المعارج التي قال تعالى في أول آية منها﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾، في حين سمّى سورة التكوير "بالشمس" وذلك راجع إلى قوله تعالى فيها﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾،وإلى جانب ذلك يلحظ قارئ كتاب النحاس أنه سمّى سورة الشرح "**ألم نشرح** "نسبة إلى قوله تعالى﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾في حين عرفت سورة القدر في كتابه بـ"ليلة القدر" وما ذلك إلاّ لأنّ السورة تتحدث عن عظمة هده الليلة وبركتها وفضلها علي سائر الليالي والأمر نفسه فعله مع سور كالزلزلة وقريش والنصر والمسد والإخلاص حيث وردت أسمائها علي الترتيب كالآتي :إذا زلزلة لإيلاف، إذا جاء نصر الله، تبت،قل هو الله أحد.

وبالعودة إلى الكتاب الثاني محل الدراسة وهو إعراب القران وبيانه للدرويش، نجده استخدم الأسماء نفسها الواردة في المصحف فسمى الفاتحة فاتحة والبقرة بالبقرة وال عمران كذلك وهكذا دواليك إلى أن ينهي إعراب القران مع سورة الناس وينتهي معها كتابه، وتجدر الإشارة أن هذا الفرق في التسميات لا يؤدي إلى تغيير المعاني وذلك لأن هذه الأسماء سُمع الكثير منها عن الرسول، وجاءت كذلك مبثوثة في تفاسير القرآن، وثانيا لأنها مستمدة في أغلبها من بدايات السور، فالفاتحة عند الدرويش هي أم الكتاب عند النحاس، ولا فرق إن قال بإحدى التسميتين.

2-المصطلح النحوي:

هذا عن أسماء السور، أمّا اصطلاحات النحو فقد كانت حاضرة بكثافة في الكتابين عاكسة بذلك ملامح الاتجاه الذي تبناه كل مؤلف، وذلك لأنّ المصطلح معبّر إلى حدّ كبير عن نهج مستعمليه، وقبل أن نغوص قصد استخراج بعض المصطلحات النحوية، يحسن أن نشير إلى أنّ المصطلح النحوي يعبّر عن «اتفاق النحاة على

ألفاظ معينة تؤدي إلى معاني ومفاهيم مستقرة عندهم»[1] وبالفعل فإنّ واقع الاصطلاح في النحو يثبت أنّه وضع بإجماع معظم النحاة واتفاقهم إلى جانب الاستعمال المشترك للمصطلح بينه، ولا أدلّ على ذلك من وجود مصطلحات بصرية في مقابل أخرى كوفية، ولأنّ المصطلح كما أشرنا سابقا يعكس ملامح اتجاه صاحبه ومذهبه حرص الكوفيون منذ نشأة مدرستهم على ابتكار مصطلحات جديدة تكون متفقا عليها بينهم ومخالفة لاصطلاح البصريين، قبل الخوض في اصطلاحات الإعراب في كتابي النحاس والدرويش نعرض جدولا يبيّن المصطلح ومقابله عند المدرستين[2]:

جدول في بيان المصطلح النحوي عند المدرستين

المصطلح البصري	المصطلح الكوفي
البدل	التبيين
البدل	الترجمة
البدل	التكرير
المحل	المردود
التمييز	التفسير
المفعول لأجله	التفسير
البدل	التفسير
التوكيد	التشديد
الإدغام	التشديد
الإفراد	التوحيد
النفي	الجحد
الصرف	الجري
الضمير	الكناية
لا النافية للجنس	لام التبرئة

[1] حدوارة عمر: المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، قسم اللغة العربية وآدابها، 2004م، ص26

[2] المرجع نفسه، ص 106-107.

لام جواب القسم	لام حرف اليمين
المبني للمجهول	ما لم يسمّ فاعله
الظرف	المحل
المنادى	المدعو
المبتدأ أو الخبر	المرافع
المعرفة	الموقت
الصفة	النعت
العطف	النسق
حروف الجّر	الصفة
الاشتغال	عائد الذكر
ضمير الفصل	العماد
الحال	الفعل
الخبر	الفعل
اسم الفاعل	الفعل
الفعل	الفعل
الصفة المشبهة	الفعل
اسم الفاعل و المفعول	الفعل الدائم
المتعدي	الفعل الواقع
الحال	القطع
الجامد	الاسم الثابت
الضمير المستتر	الاسم المجهول
اسم الجنس	الاسم الموضوع
	التقريب
	الجروج، و الصرف، المثال

ويعدّ كتاب أبي جعفر واحد من الكتب التي جمعت المصطلحين في قالب واحد وضمن حيز مشترك، حيث نراه يعبّر بالمصطلح البصري إلى جانب تعبيره بالكوفي فقد « استعمل كثيرا من المصطلحات البصرية

كالصفة والمضمر والظرف وغيرها، واستعمل كثيرا من المصطلحات الكوفية أيضا كالتبرئة والمكنّى والخفض والنعت وكان يحرص في كثير من الأحيان على استخدام المصطلح الكوفي عند نقل رأي للكوفيين أو لأحد علمائها، ويستخدم مصطلح البصريين غالبا في نقل رأي للبصريين أو لأحد علمائها»[1] وفي ذلك دلالة على توسط المؤلف واعتدال منهجه النحوي، حيث كان قائما على حشد الآراء وانتخاب الأجود منها دون عصبية أو مغالاة؛ لأنّ المهم ليس الدفاع عن فكرة هذا أو ذاك، لكنّ الأهم أن تعرض للقارئ المتخصص الوجوه المحتملة ونترك له بذلك فرصة الاطلاع على تنوع وثراء المصطلح النحوي، فيفسح له بذلك المجال لنقده إن أمكن وهذا ما صنعه النحاس في كتابه، فالذي يقرأه يشعر أنّ صاحبه كان يحمل القلم بيده ويقف وسط خط طرفاه البصريون والكوفيون، فيسجل كلّ ما قاله الفريقان بلا تزييف ولا مبالغة ثمّ يحكم بلا تجريح لا لصالح البصريين ولا لصالح الكوفيين ولكن لصالح العلم ككل وقد انتقينا بعض النماذج التي تعبّر عن هذه الفكرة من الكتاب حتى يكون للمصداقية حيّزٌ للبحث وليس من المهم أن نورد كل النماذج التي وردت في الكتاب لأنّنا سنكون في هذه الحالة إزاء إعادة نسخ الكتاب والمطلوب الاختصار مع الإفادة.

ففي بداية إعراب أم الكتاب حسب تعبير النحّاس يقول في تحديد موقع إعراب "باسم"﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾«مخفوض بالباء الزائدة وقال أبو إسحاق: وكسرت الباء ليفرق بين ما يخفض وهو حرف لا غير وبين ما يخفض وقد يكون اسما نحو الكاف، ويقال لم صارت لباء تخفض، فالجواب عن هذا وعن جميع حروف الخفض أنّ هذه الحروف ليس لها معنى إلاّ في الأسماء، ولم تضارع الأفعال وتعمل عملها فأعطيت ما لا يكون إلاّ في الأسماء وهو الخفض، والبصريون القدماء يقولون الجرّ »[2] فالخفض من اصطلاحات الكوفيين ويقابله عند البصريين مصطلح الجرّ، ولهما الدلالة نفسها وإن اختلفا في الصورة اللفظية.

وفي إعرابه **لربّ** من ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾مخفوض على النعت بالله»[3] و**النعت** هوماعرف عند البصريين **بالصفة** والنحاس في كتابه يلتزم هذا المصطلح كثيرا ويعبر به في معظم الأحيان، زمن ضروب عرض

[1] مي فاضل الجبوري: إعراب القرآن دراسة منهجية في التأليف حتّى نهاية القرن، ص 80.
[2] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص 11.
[3] المصدر نفسه: ص 12.

النحّاس للمصطلح النقيض إعرابه هدى من﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ فبعد أن أقرّ بأنّ إعرابها يكون من خمسة وجوه قال «...ويكون على وجه خامس وهو أن يكون على موضع لا ريب فيه أي حقاّ هدى ويكون نصبا على الحال من ذلك والكوفيون يقولون القطع»[1] وكأنه هنا يشير إلى تبنيه لمصطلح **الحال** ثمّ يؤكد على وجود تسمية أخرى يستعملها الكوفيون وهي **القطع** وبأيّهما أعرب المعرب كان مصيبا.

وينضاف إلى ذلك الإعراب الذي ارتآه في "هم"«فيجوز هم توكيدا للهاء والميم ويجوز أن يكون فاصلة والكوفيون يقولون "عماد"»[2] فا**لتوكيد** من مصطلحات البصرة كذلك الفاصلة و**الفصل**، أمّا **العماد** فتعبير الكوفيين. وقد عبّر ابن الأنباري (ت577هـ) صاحب (الإنصاف في مسائل الخلاف) عن تغاير تسمية هذا الضمير بين الفريقين قائلا:« ذهب الكوفيون إلى أنّ ما يفصل بين النعت والخبر يسمى عمادا وله موضع من الإعراب وذهب بعضهم إلى أنّ حكمه حكم ما بعده وذهب البصريون إلى أنّه يسمّى فصلا؛ لأنّه

يفصل بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعا لنعت الاسم ليخرج عن معنى النعت كقولك زيدٌ هو العاقل ولا موضع له من الإعراب»[3].

أمّا الأعاريب التي عبّر عنها النحّاس باصطلاح الكوفيين إلى جانب المصطلح البصري –وقد فعل ذلك مرة تلو المرة –قوله في إعراب ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[سورة البقرة، الآية:22]حيث اعتبر أنّ «أنتم مبتدأ، تعلمون فعل مستقبل في موضع الخبر، والجملة في موضع الحال »[4]و**المستقبل** هاهنا هو ما عبّر عنه البصريون باصطلاح **المضارع**، وهذا المثال يكشف أن هناك طرائق في تعامل النحّاس مع المصطلحات فمرّة يعبّر بالمصطلح البصري ويشير إلى المصطلح الكوفي الذي يوازيه، ومرّة يعرض إعراب البصريين، ثمّ يعرب الكلمة التي بعدها من الجملة نفسها إعرابا يوافق اصطلاح الكوفيين، وفي

[1] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن ص 17.

[2] المصدر نفسه: ص22.

[3] أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح:جودة مبروك محمد مبروك،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م، ص567.

[4] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص27.

ذلك دلالة على براعته في المزج بين الآراء، ومدى قدرته على الانتقال بين المصطلحات دون أن يشعر القارئ أنّه يتبنى فكرة النقد والعصبية الزائدة اتجاه المصطلح المخالف.

ومن المصطلحات التي ترجع إلى البصرة واستعمالها مصطلح **النداء** الذي استعمل بكثرة في كتابه، ويتجلى ذلك في إعرابه ل ياآدم على أنه نداء مفرد، إلى جانب ذلك نجده أورد مصطلحات البدل والعطف والحال، وهذه كلّها من وضع البصريين ووردت هذه المصطلحات في متفرقات من الكتاب، منها قوله في﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾أنّها في موضع نصب على البدل من مساجد، سعى معطوف على منع، خائفين حال »[1] وفي هذا الموضع استأثر النحّاس بتوظيف المصطلح البصري دون الكوفي وهذا ضرب آخر من ضروب استعمال المصطلح عنده، إضافة إلى ما سبق ذكره ولنا أن نستأنس بمثال آخر تجلّى في إعرابه لـ (غدا) في سورة يوسف ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[يوسف، الآية12] حيث يقول:«غدا منصوب على الظرف»[2]ويبرز مصطلح اسم الفاعل البصري عند حديثه عن اشتقاقات آثر من قوله تعالى ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[سورة يوسف،الآية:91]قائلا: «اسم الفاعل مؤثرٌ والمصدر إيثار»[3]والإضمار كذلك من وضع البصريين وشاع لديهم، وقد وظفه النحّاس كثيرا ومثال ذلك قوله في طائفتان من قوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[سورة الحجرات، الآية:09] بأنّها «مرفوعة بإضمار فعل أي وإن اقتتلت طائفتان»[4]،والإضمار يقابله-كما أشرنا- عند الكوفيين مصطلح الكناية والمعنيان كلاهما متقاربان وإن تباينت المصطلحات.

[1] المصدر نفسه،ص 61.
[2] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن،ص 442.
[3] المصدر نفسه، ص462.
[4] المصدر نفسه ، ص 1014.

كما استعمل النحّاس مصطلحات بصرية محضة، فإنّه في كثيرا من الأحيان يعمد إلى تبني المصطلح الكوفي وإثباته، كقوله مثلا: «**أسَرُّوهُ**[سورة يوسف، الآية 19] الهاء كناية عن يوسف فأمّا الواو فكناية عن إخوته وقيل كناية عن التجّار الذين اشتروه»[1].من قوله تعالى﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾.[سورة يوسف، الآية:19].

ومن المصطلحات التي تطالع الباحث في هذا الكتاب مصطلح ما ينصرف وما لا ينصرف وهما في مقابل المصروف والممنوع من الصرف عند نحاة البصرة، ومن ذلك قول النحّاس في كتابه في إعراب "أحسن" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴾[سورة النساء، الآية 86] أحسن في الآية «لم ينصرف لأنّه [على وزن] أفعل وهو صفة أي بتحية أحسن منها»[2]، وهنا يظهر مصطلح **الصفة** وهو بصري، ويعبّر عنه الكوفيون بالنعت.

هذه وقفة مع أهم المصطلحات التي برزت في كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس، وقد تبيّن من خلالها أنّ النحاس انتقى من المصطلحات النحوية أجودها مكثفا لها عارضا إيّاها في الكتاب بإنصاف وبعلمية كبيرة –إن صحّ التعبير–لأنّه ليس من السهل على أيّ كان في ذلك الوقت، أن يترك تشيعه الواضح للبصرة، ويحكم بالعدل والمصداقية، مبتعدا عن التحزب المصطلحي الذي فرضه نحاة البصرة طيلة قرون، لكنّ أمثال النحّاس ممّن كانوا منصفين مع المصطلح النحوي الكوفي كانوا قليلين، وسرعان ما مضى الزمن وأُهمل المصطلح الكوفي، فما عاد متداولا أو مستعملا إلاّ عن القلة القليلة من الباحثين ممن قد يحلو لهم البحث عنه بين طيّات المعاجم القديمة وبضع صفحات والكتب التراثية «ثمّ لما كان المذهب البصري أقرب إلى الدقة والبيان وهو الجاري على الألسن والأقلام الأفهام في كثير من تاريخ النحو حتّى الآن، فقد وجب التزام حدوده في الإجراءات ما أمكن، ليكون العمل قريبا من ميادين الأساليب والمعارف المستخدمة بين الناس»[3] وهذا بارز في أعاريب النحويين المحدثين.

---

[1] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص 444.

[2] المصدر نفسه، ص198.

[3] فخر الدين قباوة:المنهجية في إعراب القرآن، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، حلب سوريا، العدد التاسع ، ص132.

وعلى هذه الفكرة ارتكزت جلّ أبحاث المحدثين فاعتمدوا الوجوه البصرية وألغي المصطلح الكوفي نظرا لهلهلته وصعوبته على الأفهام وهيمنة المصطلح البصري، وبما أنّ هدفنا هنا المقارنة بين اصطلاحات النحو عند أبي جعفر ونظيره الدرويش، فإنّنا سنعمد مباشرة إلى ذكر بعض النماذج التي تؤكد بصرية المؤلِف والمؤلَف، وفي واقع الأمر فالكتاب في جوانبه الإعرابية خير دليل على تبني الدرويش خاصة والمحدثين بصفة عامة، للمصطلح البصري ثمّ السير به مع الوقت نحو التيسير والتسهيل حتى آل إلى وضعه الراهن.

ولنضرب مثالا بإعراب الفاتحة حيث قال الدرويش في إعرابها «الحمد مبتدأ، لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، ربِّ صفة لله أو بدل منه، العالمين مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء نيابة عن الكسرة لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، الرحمان الرحيم صفتان لله أيضا، مالك صفة رابعة لله»[1].والمصطلحات الواردة في هذا المقطع هي: المبتدأ، الجار والمجرور، الصفة، المضاف إليه، وهذه جميعا راجعة للتراث البصري ينضاف إلى ذلك مصطلح البدل والاسم الموصول والفعل الماضي والفاعل وصلة الموصول، وذلك في إعرابه لـ«**صراط** بدل مطابق من الصراط، الذين اسم موصول مضاف إليه في محل جرّ، أنعمت فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة أنعمت لا محل لها من الإعراب لأنّها صلة الموصول »[2]وعلى غرار ذلك نجد في الكتاب ذكرا لمصطلحات أخرى كالفعل المبني للمجهول، والفاعل لما أعرب**قيل** وما بعدها في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ** ﴾[سورة البقرة، الآية:13]على أنّهما «فعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستر فيه تقديره يعود على الله»[3] ونائب الفاعل والفعل المبني للمجهول مصطلحات بصرية محضة ولا نقاش في ذلك.

ونظرا لتعدد مصطلحات البصريين في الكتاب –إن لم نقل أنّ الكتاب بصري المصطلح أصلا–فلن نتوسع في مصطلحاته توسعنا في عرض مصطلحات الإعراب عند النحّاس، ويكفي أن نؤكد بأنّه يختلف عنه في كونه يتبنى مصطلح البصرة الذي كتب له الخلود وتمّت له السيادة مع مرور الزمن، ونقطة أخرى تجدر الإشارة إليها عند التحدث عن اختلاف اصطلاحات الكتابين، وهو أنّ هذا الاختلاف كان سببا في كثير من الأحيان

[1] محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه،ج1، ص 30.
[2] محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه،ج1، ص 30.
[3] المصدر نفسه، ص 48.

في إحداث خلط في ذهن القارئ، خاصة المصطلح الكوفي الذي لاحظنا هلهلته بحيث يعبّر بالمصطلح الواحد عن أكثر من معنى، وهذا ما يتطلب التمعن في الأعاريب وقبل ذلك معرفة معاني المصطلحات واستخداماتها المختلفة وإلاّ حكمت على بالخطإ على ما أصله الصواب.

ثالثا:من حيث المادة:

لابّد لأي كتاب يؤلف سواء في القديم أو الحديث أن يرتكز على آراء من سبقوه ويستفيد من المعلومات التي قدمها السلف ويطّلع على حصيلة ما وصل إليه التأليف في الحقل الذي ينتمي إليه المؤلف ومعرب القرآن كذلك لا يمكنه أن ينطلق من الفراغ، أو يعرب آيات الذكر الحكيم بناءا على لآراء شخصية قد تصدق أحيانا، لكنّها أيضا قد تكون خاطئة في الكثير من الأحيان، ممّا يؤدي على التحريف لذلك وحتّى يتجنب معربوالنّص القرآني الزلل والخطأ والتأويلات البعيدة والتقادير الضعيفة، ينبغي أن يستفيدوا من الثراء المعرفي الذي تركه سابقوهم ليس فقط كتب النحو والإعراب، ولكن على المؤلف في إعراب القرآن أن يضع بين يديه دائرة معارف على القرآن تشمل كتب التفسير وكتب القراءات وكتب الحديث، إلى جانب كلام العرب وذلك لتكون عدّة له فيما هو مقبل عليه.

1-مصادر الكتابين:

وقد تختلف وتتنوع أو تقلّ المصادر التي يأخذ عنها المعربون بين القديم والحديث، وذلك راجع إلى ثقافة المؤلف وطبيعة العصر الذي ينتمي إليه، إضافة إلى مراعاة الوضع الذي آل إليه التأليف في هذا الزمن أو ذاك، وبالنظر على الكتابين محلّ الدراسة وهما كتاب (إعراب القرآن) لأبي جعفر النحّاس وكتاب (إعراب القرآن وبيانه) لمحي الدين الدرويش نلمس العديد من الفوارق التي تميّز مصادر القديم عن الحديث، وإن كان الدرويش قد ضمّن آراء غيره لكنّها لم تكن حاضرة بكثرة في الإعراب بل كانت متناثرة في قسم الفوائد ولم تكن مكثّفة وهذا ما سيتم الكشف عنه في هذه الجزئية الأخيرة من البحث والمعنون بمادة الكتاب، والتي سنعرض فيها للمقارنة بين مصادر الكتابين ثمّ محتوياتهما.

وقبل ذلك تجدر الإشارة إلى أنّ المقصود بالمصادر هاهنا، مجموع الآراء التي أخذ بها المؤلف أو الكتب التي استقى منها مادته، إضافة إلى آراء شيوخه وأساتذته الذين تتلمذ على أيديهم أو سمع عنهم أو قرأ لهم –في حالة الدرويش–فجاءت آراؤهم مبثوثة في الكتاب، ومن الصعوبة أن نحصر المصادر التي أخذ عنها النحّاس في كتابه(إعراب القرآن) لأنها كثيرة ومتنوعة بين كتب النحو، وكتب المعاني، وكتب التفسير، والقراءات، لكنّنا سنقتصر على أبرزها لما لها من أثر واضح على شخصية المؤلف ومؤلَفه الذي سبق وأشرنا أنّه تتلمذ على أيدي شيوخ البصرة والكوفة معا، ولم يتورع عن السماع عن الفريقين، وهذا ما أثّر على منهجه أوّلا و مصطلحاته ثانيا ومصادر كتابه التي جاءت موزعة بين شيوخ البصرة وكتبهم ورواياتهم من جهة، وشيوخ الكوفة وكتبهم والرواية عنهم سماعا من جهة أخرى.

والذي يطالع كتاب النحّاس لن يتردد في تسميته موسوعة لغوية لما حواه من تعليلات وما نقل فيه صاحبه من آراء لنحاة البصرة والكوفة على حدّ السواء، والبداية ستكون مع معجم الخليل بن أحمد الفراهيدي (العين) الذي استقى منه النحّاس العديد من الأقوال التي تتعلق بالشرح والتفسير اللغويين، ومن ذلك إدراجه

قول الخليل في قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ ﴾ف[سورة الأنعام، الآية:150]في كتاب العين« أصلها: هل أؤمّ أي هل أقصدك ثمّ كثر استعمالهم إياها حتى صار المقصود بقولها »[1] وطبيعي أن يعتمد النحّاس على معجم الخليل طالما أنّ كتابه لا يعالج الإعراب في معزل عن المعاني اللغوية.

وإن كان النحّاس قد استعان بمعجم الخليل لشرح المعاني اللغوية، فإنّنا نجده كذلك يلجأ إلى علم شامخ من أعلام النحو العربي سيبويه وكتابه، ولطالما كان هذا الأخير في حياته وبعد مماته منارة يهتدي بها بغاة النحو إلى الطريق المستقيم، ويعدّ كتابه أنضج كتاب وضع في النحو نظرا لشموليته وسعة مباحثه وغزارة مادته، ولو لا ذالك ما سميّ قرآن النحو ولما نال الحضوة والمكانة الأسمى بين كتب النحو كما سبق ونوّهنا، والنحّاس كسائر النحويين لم يستطع أن يخفي إعجابه بسيبويه وكتابه فراح يسرد أقواله ويستقي من نبع آراءه منتقيا بذلك أجود الأقوال وأنسبها، ورغم ذلك فإنّه لم يمتنع عن نقده في مواضع عدّة من الكتاب رآى النحّاس فيها سيبويه مخطئا، وقد اختلفت طرائق أخذ النحّاس عن سيبويه فكان تارة يشير إلى المعنى الذي عبّر عنه في كتابه، لكنّه لا

[1] النحّاس: إعراب القرآن ،ص 291.

يعبر بلفظ (الكتاب) بل بألفاظه هوومثال ذلك ما قام به عند إعرابه للآية الأولى من سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ﴾حيث يقول «مذهب الخليل وسيبويه في ﴿ الٓمٓ ﴾وما أشبههما أنّها لم تعرف لأنّها بمنزلة حروف التهجي فهي محكية، ولو أعربت لذهبت معنى الحكاية»[1] ، فهذه العبارة مأخوذة بالمعنى دون اللفظ لكنّها لا تنفك تعبّر عن رأي سيبويه وموقفه، والأمر نفسه فعله النحّاس وهو يتحدث عن الهمزة المخففة والمحققة في﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾في الآية السادسة من سورة البقرة حيث يقول:«أأنذرتهم فيه ثمانية أوجه أجودها عند الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية وتحقيق الأولى وهي لغة قريش وسعد بن بكر و كنانة»[2] فهذا المعنى أخذه النحّاس عن كتاب سيبويه ثمّ أورده بلفظه هو وهذه الطريقة تعدّ من أجود الطرق في النقل لأنها تعكس شخصية الباحث، ومدى قدرته على التصرف في الأقوال بما لا يخرج الكلام بلفظه الجديد عن معنى اللفظ، الذي عبّر به صاحبه أوّل مرّة .

هذا عن الطريقة الأولى أمّا الطريقة الثانية تمثلت في نقل النّص عن سيبويه صريحا بلفظه ومعناه دون التصرف فيه، وهذه أيضا كثيرة في كتاب النحّاس ونجد صداها في العديد من صفحات هذا الكتاب، ومثال ذلك عرضه للإعراب الذي ارتآه سيبويه لكلمة تذكّر في قوله:﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[سورة البقرة،282]المنصوبة والذي يقول فيه«أن تضلّ إحداهما فتذكّر انتصب لأنّه أمر بالإشهاد لأن **تذكّر** ومن أجل أن **تذكّر** فإن قال أناس كيف جاز أن تقول أن تضلّ؟ ولم يعد هذا الإضلال والالتباس، فإنّما ذكر أن تضلّ لأنّه سبب الاذكار كما يقول، الرجل أعددته أن يميل الحائط فأدعمه، وهولا يطلب بإعداد ذلك ميلان الحائط، ولكنّه أخبر بعلّة الدعم وبسببه »[3] ، وأقوال سيبويه مبثوثة بين صفحات الكتاب من بدايته إلى نهايته، وهو ممّن نال الحُظوة إلى جانب الزجّاج الذي كان أحد شيوخ النحّاس كما أسلفنا ذكرا وسمع عنه كثيرا، فجاءت آراؤه غزيرة في كتاب إعراب القرآن للنحّاس الذي كان يعرض رأيه ويناقشه أو يردّ عليه وأحيانا كثيرة يعرضه مع بقية

[1] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص 16.
[2] المصدر نفسه، ص 20.
[3] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن،ص 116.

الأقوال دون أن يشح أيا منها، أو يتخذ أحد أقواله للرد ّ على نحوي أو لغوي ما ومثال ذلك ما فعله في إعراب﴿ الٓمٓصٓ ﴾[سورة الأعراف،الآية:01]حيث ردّ على الكسائي بنصّ **الزجّاج** الذي يقول فيه «هذا القول[أي قول الكسائي الذي لم نذكره] خطأ من ثلاث جهات منها أنّه لو كان كما قال لوجب أن يكون بعد هذه الحروف أبدأ الكتاب، وقد قال الله جلّ وعزّ ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ومنها أنه لو كان كما قال لما كانت **ألم** في غير موضع وكذا **حم** ومنها أنّه أضمر شيئين، لأنّه يحتاج أن يقدّر ألم بعض حروف كتاب أنزل إليك ولا يكون هذا كقولك: أ ب ت ثمانية وعشرون حرفا لأنّ هذا اسم للسورة و كما تقول الحمد سبع آيات والدليل على هذا أنّه لا يجوز ط،ظ،ر،ن ثمانية وعشرون حرفا»[1] وهذا الاستشهاد الواسع لأقوال الزجّاج يعكس لنا مدى التأثير الذي مارسه هو كتابه معاني القرآن وإعرابه، على أبي جعفر النحّاس حتّى أنّنا لا نكاد نمرّ بإعراب آية أو شرح لفظة إلاّ والزجّاج وكتابه حاضران فيها، ولنا أن نؤكّد على صحة هذه الفكرة بعرض اقتباس آخر للزجّاج يقول فيه في إعراب الآن من قوله تعالى:﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۖ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[سورة البقرة، الآية:71]«الآن مبني على الفتح، وفيها الألف واللام لأنّ الألف واللام دخلت بغير عهد تقول: كنت إلى الآن ها هنا، فالمعنى إلى هذا الوقت فبنيت كما بني هذا، وفتحت النون لالتقاء الساكنين »[2]ويكفينا هنا أن نؤكّد على حقيقة مفادها أنّ اقتباس النحّاس عن الزجّاج اتّسم بالغزارة والتنوع والكثرة.

وليس الزجّاج وحده صاحب المكانة البارزة في كتاب النحّاس، بل نجد للأخفش كذلك حضورا قويا من خلال إحضار آرائه النحوية واللغوية التي برزت في كتاب النحّاس، ومن ذلك توظيف قوله في الواو من أوكلما عاهدوا عهدا (...) «الواو زائدة دخلت عليها ألف الاستفهام »[3]وهذا الموقف عرضه النحّاس ضمن الآراء المعروضة لأساتذة النحو في زمنه.

---

[1] المصدر نفسه، ص296.

[2] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن، ص 49.

[3] المصدر نفسه، ص 57.

وهذه بعض من المصادر البصرية التي تأثّر بها النحّاس في كتابه إعراب القرآن، بالإضافة إلى ذلك فالكتاب يعكس أثر مدرسة الكوفة وأعلامها، لاسيّما الفرّاء منهم على هذا الأخير فقد أخذ عنه وعن الكسائي كما أخذ عن البصريين، ومن نماذج استفادته من آراء الكسائي استئناسه بالإعراب الذي قرره في ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ ﴾ [سورةالبقرة، الآية:32] والذي يقول الكسائي فيه: «هو منصوب لأنّه لم يوصف قال: ويكون منصوبا على أنّه نداء مضاف »[1] والكسائي باعتباره علما بارزا من أعلام المدرسة الكوفية ترك أثرا واضحا في كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس، وإن كان أخذ هذا الأخير عن معاني الفرّاء أكثر من أخذه عن الكسائي، حيث نلاحظ أنّه من أهم الكتب التي استعان بها النحاس بدرجة كبيرة.

ولم يكتف النحّاس في انتقاء مصادره بالكتب المدونة، فضمّن كتابه العديد من الروايات التي سمعها عن شيوخه أو سمعها شيوه عن غيرهم، ومن بين الذين ترددت أسماؤهم من هذا القبيل ابن كيسان علي بن سليمان ومن بين ذلك ما حكاه عن علي بن سليمان في إعراب﴿ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾[طه: الآية 21] «سمعت علي بن سليمان يقول: التقدير إلى سيرتها مثل واختار موسى قومه ويجوز أن يكون مصدرا لأنّ معنى سنعيدها سنسيّرها »[2]بالإضافة إلى ذلك فقد روى النحّاس سماعه عن ابن كيسان في عدّة مواضع من الكتاب، ومن ذلك ما سمعه عنه وهو يتحدث عن حقيقة اللام في الآية﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ [سورة طه، الآية: 02]حيث يقول « سمعت أبا الحسن بن كيسان في مثلها إنّها لام الخفض، والمعنى عنده ما أنزلنا عليك القرآن للشقاء »[3].

وتجدر الإشارة على أنّ النحّاس قد استعان بهذه المصادر كلّها ليزيد الإعراب قوّة، وينقل للقارئ صورة صادقة عن النحو و الإعراب، ولكن بالعودة إلى كتاب الدرويش كطرف ثان من المقارنة، فإنّنا نجده يعرض للإعراب مباشرة دون أن ينسبه إلى عالم في النحو، أو يتحدث عن موقفه أو ورد وجهة نظره، وذلك لأنّ كتابه

[1] المصدر نفسه، ص 33.

[2] أبو جعفر النحّاس: إعراب القرآن 581 .

[3] المصدر نفسه، ص576.

وضع لتعليم الطلاّب وإفادتهم عن طريق تقديم أبسط الأعاريب، فلا يعنيه الخوض في مسائل الخلاف ولا إدخال قارئه في متاهات التراثيين ورغم ذلك فنحن لا نعدم استفادته من آراء سابقيه، ولكنّ هذه الاستفادة جاءت مبثوثة في أقسام البلاغة والفوائد واللغة، لا في الإعراب الذي سهلا بسيطا لا تعقيد فيه، ولا مراوغة لفظية، وأوّل ما يلاحظ عليه غياب التقديرات وتأويلات علماء النحو، واعتباراتهم التي عرضها النحّاس بإسهاب، وحاول الدرويش تجنبها قدر المستطاع؛ لأنّه سمة الإعراب في الحاضر الابتعاد عن متاهات الخلاف متى كان لذلك سبيل، مثال ذلك إعرابه للآية ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۖ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[سورة العنكبوت، الآية63] حيث أعربها على النحو التالي: «الحمد مبتدأ ولله خبره، والجملة مقول القول، وبل حرف إضراب، وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعقلون خبره»[1] فالملاحظ على هذا الإعراب وغيره أنّ صاحبه لا ينسبه إلى رأي عالم أو موقف نحوي، مكتفيا في ذلك ما رآه أقرب وأسهل، فلم يصرح عن أعلام النحو الذين أخذ عنهم إلاّ في النادر.

وحتى لا نجحد المؤلف حقّه ينبغي أن نعود لعرض بعض النماذج التي في كتاب الدرويش وكانت لغيره رغم قلتها، إذا ما قورنت باقتباسات النحّاس، فقد أتى الدرويش في قسم الفوائد على سبيل التمثيل بقولين أحدهما للفرّاء والآخر للزجّاج، وذلك ليعرض للخلاف القائم حول **اللام** التي أسماها الكوفيون **لام كي**، واعترض البصريون على هذه التسمية، فقال الفرّاء من الكوفة «العرب تعاقب بين لام كي وأن فتأتي باللام التي على معنى كي في موضع أن في أردت وامرتَ فتقول، أردت أن تفعل وأردت لتفعل، ومنه قوله تعالى﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[سورةالصّف، الآية: 08]،﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ ﴾[سورة الشورى، الآية:15]و﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنعام، الآية:71] »[2] فردّ عليه الزجّاج بقوله: «لو كانت اللام بمعنى أن دخلت عليها لام أخرى كما تقول جئت كي تكرمني، ثمّ تقول جئت لكي تكرمني »[3].

[1] محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج6، ص 20.

[2] ا محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج2، ص 12.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص ن.

2- المباحث العلمية:

كتاب النحّاس هو كتاب إعراب ولكنّه رغم ذلك قد تضمن العديد المباحث والمواضيع التي قد تبدو هامشية لنا اليوم، ولكنّها آنذاك كانت عناصر داخلة فيما يسمّى الإعراب، ومن هذه المباحث التي وردت في كتاب إعراب القرآن للنحّاس فضلا عن الإعراب الذي يعدّ تِيمةً مركزية في الكتاب.

أ- المبحث الإعرابي:

كان النحّاس في كتابه إعراب القرآن يستوفي جميع الاحتمالات الواردة سواء ما تبدّى له شخصيا، أم بعرض آراء علماء النحو وتكثيفها جنبا إلى جنبا، فالكتاب « مكتظ بالأوجه الإعرابية التي تحتملها الكلمات المفردة، ويلاحظ أنّه في كثير من الأحيان- يستبعد الوجه الذي لا يعتقد بصحته غير مكتف بعرض الأوجه»[1].

فالمتتبع للكتاب يكشف صحة هذه المقولة وتجدر الإشارة إلى أنّ النحّاس يعمد إلى استيفاء الأوجه الإعرابية حتّى ولو أقرّ وجها معينا وتبناه، فإنّه لا يلبث أن ينوه للأوجه الإعرابية حتّى لا يحرم القارئ من – المعرفة، و كي لا يفرض عليه رأيا بعينه، ومن الأمثلة التي التوضيحية في هذا الصدد قوله في إعراب **الذي** وما بعدها:من قوله تعالى﴿ وَالَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾[سورة الرعد، الآية:01]: «ابتداءٌ وخبر، ويجوز أن يكون **الذي** عطف على آيات في موضع رفع، ويكون **الحقّ** مرفوعا نعتا للذي أو على إضمار مبتدأ، ويجوز أن يكون **الذي** في موضع خفض عطفا على الكتاب، ويكون **الحقّ** عطفا على إضمار مبتدأ ويجوز خفضه يكون نعتا **للذي**»[2] فالنحّاس هاهنا لم يترك احتمالا بدا له صائب إلاّ تطرق له بالعرض معللا سبب إيراده، ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما أورده في إعراب لفظة **الصّمد** من قوله:﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾حيث أشار أولا إلى وجود ست تقديرات إعرابية في هذه اللفظة، ثمّ أبدى رأيه المتمثل في تفضيل التقدير الأول قائلا: «وفيه **الصّمد** ست تقديرات أحسنها أن يكون قوله الله رفعا بالابتداء، و**الصّمد** نعته وما بعده خبره، والقول الثاني: أن يكون **الصّمد** الخبر والقول الثالث أن يكون على إضمار مبتدأ، والرابع

[1] مي فاضل الجبوري:إعراب القرآن دراسة في منهجية التأليف حتّى نهاية القرن السادس، ص 67.
[2] النحّاس:إعراب القرآن، 466.

أن يكون خبرا بعد خبر، والخامس أن يكون بدلا من أحد، والسادس أن يكون بدلا من قولك الله الأول »[1] فهذه ست تقديرات ذكرها النحّاس كاملة لم ينقص واحدا منها، وإنّما كان الغرض من وراء ذلك حشدا أكبر قدر من المعلومات التي يستفيد منها قارئ كتابه، فهو قد عقد النية على الإفادة وهاهو يمضي منفذا عزمه بشتّى الأشكال، وإن كان في الأمثلة السابقة يعرض الأوجه الإعرابية دون تسمية القائلين بها، فإنّه في مواضع أخرى يجمع جملة ما قاله العلماء في إعراب هذه اللفظة أو تلك، ومن ذلك ما فعله في إعراب **ثمانية** من الآية 143 من قوله تعالى:﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[سورة الأنعام،الآية: 143] ، حيث عرض في علّة نصب ثمانية ستة أوجه قال بها علماء النحو قائلا: «وفي نصبه ستة أقوال، قال الكسائي هو منصوب بإضمار أنشأ، وقال الأخفش سعيد هو منصوب على البدل من **حمولة** و **فرش**، وإن شئت على الحال، وقال الأخفش علي بن سليمان يكون منصوبا بـ**كُلوا** أي كلوا لحم ثمانية أزواج، ويجوز أن يكون منصوبا على البدل من ما على الموضع، ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى كلوا المباح ثمانية أزواج»[2] ، والملاحظ أنّ هذه التقديرات إنّما يزيد كلّ واحد منها إلى فهم المعرب لمعنى الآية وهي لا تتساوى في القوة؛ إذ يكون أحدها أنسب وأصلح وتأتي بقية التقديرات تباعا، وكما يقبل بعضها قد يرفض البعض الآخر، وليس هذا مجال التوسع في هذه المسألة.

هذا عن النحّاس وكتابه أمّا الدرويش –وبعدّه مؤلفا حديثا –فإنّه يكتفي بإقرار الإعراب الأقرب والأسهل؛ لأنّ كتابه ذو طابع تعليمي بالدرجة الأولى، فإن احتمل اللفظ وجوها إعرابية ولم يجد الدرويش بداً من ذكرها نوّه بها في موضع أسماه الفوائد، ومثال ذلك قوله في إعراب موعدا من قوله تعالى﴿ **فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى** ﴾[سورة طه، الآية: 58] فبعد أن أعرب **موعدا**« مصدرا ميميا مفعولا به أول»[3] قال في موضع الفوائد «كثر اختلاف المعربين في قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى و الحقّ أنه من معضلات التركيب، وقد اخترنا في الإعراب أمثل الوجوه،

[1] المصدر نفسه، ص1377.

[2] النحّاس:إعراب القرآن ،ص 289.

[3] الدرويش:إعراب القرآن وبيانه،ج4، ص 691.

وأقربها إلى المنطق وأدناها إلى السهولة بقيت هناك أمور لابدّ من إيضاحها»[1] ثمّ ذكر أوجه إعراب موعدا الثلاثة التي قررها العلماء قبله وهي أن يكون إمّا مفعولا به أو مصدر زمان أو مصدر مكان، ليصل إلى تفنيد هذه الأقاويل معتبرا أنّ أصحها ما ارتآه.

ورغم أنّ الكتاب في مجمله لا يحتفي بتعدد الأوجه الإعرابية غير أنَّ ذلك لا ينفي وجودها نفيا مطلقا، ففي بعض الأحيان لا يجد الدرويش بداً من ذكر بعض الوجوه، فيذكرها لكنّ هذا قليل جداً في حين كتاب النحّاس لا يغفل أي وجه إعرابي، وهذا فرق جلي بين الكتابين.

ومنه يمكن القول: إنه إذا كان النحّاس قد حشد الأقاويل والآراء النحوية منسوبة إلى قائليها، وتجلى ذلك في توجيهه للأوجه الإعرابية للفظة الواحدة من آيات الذكر الحكيم، فإنّ الدرويش يعرض لها بإيجاز كبير، إذ نجدها غالبا في مبحث الفوائد، أي أن كليهما ينزع إلى ذكر الأوجه الإعرابية للفظ الواحد غير أنّ النحّاس أقرها في تداخل وتعالق كبيرين بالمباحث الأخرى في كتابه، في حين فصل بينها الدرويش وأدرجها ضمن نطاق الفوائد.

ب- المبحث الصرفي:

فبعد أن خصّص له أبو جعفر كتابا مستقلا سمّاه (معاني القرآن) نراه في كتابه الثاني الموسوم بإعراب القرآن يميل كثيرا على الحديث عن المعاني والوجوه التصريفية والاشتقاقية، حتى أنّه في أحيان كثيرة يورد اللفظة لإعراب لكنّه يكتفي بشرحها شرحا لغويا والحديث عن أصلها وتقلباتها، ومن ذلك ذكره لاشتقاق لفظة **يوم** من سورة الفاتحة بقوله:«وجمع يوم أيام والأصل أيوام ، أُدغمت الواو في الياء ولا يستعمل فيه فعل»[2] على جانب ذلك نجده بعد أن أعراب كلمة صلاة من سورة البقرة عرض لجموعها المختلفة قائلا:«الصلاة منصوبة في يقيمون وجمعها صلوات وصلاءة وصلاوة»[3]. كذلك مالت المعاني قسطا وافرا في كتابه، حيث أولاها عناية كبيرة وحرص في كثير من الأحيان على إظهار المعنى قبل الإعراب، ومن ذلك قوله في معنى اللغو من سورة

[1] المصدر نفسه، ج4، ص694.
[2] النحّاس: إعراب القرآن، ص 13.
[3] المصدر نفسه، ص 18.

الواقعة في قوله تعالى:﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾[سورة الواقعة، الآية:25] قال:«اللغو ما يلغى، قيل معناه لا يسمعون فيها صخبا ولا ضجرا ولا صياحا فنفى الله عزّو جلّ عن أهل الجنة إلاّ ما يلحق الناس في الدنيا في نعيمهم من الضجر، وفي كلّ علق في طعامهم وشرابهم من الآفات»[1]، وفي سورة الحديد بدأ بالشرح وتقديم المعنى ويتجلى ذلك في قوله بعد أن أعرب الآية ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحديد، الآية:01.]«سبّح عظّم ورفع مشتق من السباحة وهي الارتفاع»[2]، والنماذج على هذا كثيرة ومتنوعة ومبسوطة في كتاب النحّاس.

هذا عن تناول النحّاس للمعاني والصيغ الصرفية والشروح والكلمات، إذا ما أردنا أن نقارن بين مدى إدراج المعاني في كتابه وكتاب الدرويش حديثا، نستطيع أن نقول أنّ كلاهما كان يورد المعنى اللغوي في الكتاب، وإن كان النحّاس أكثر عرضا لها، وذلك لأنّ كتابه هو أول محاولة ناضجة لفصل المعاني عن الإعراب ورغم ذلك فقد بقي كتابه محتفظا بنسبة لا بأس بها من المعاني، لأنّها ممّا يخدم الإعراب ولا يستغني عنه، ورغم التشابه الذي قد يستشعره القارئ للكتابين في مسألة توظيفهما للمعاني، إلاّ أنّ طريقة النحّاس أن يعرض المعاني بالموازاة مع الإعراب، فلا يفصل بينهما فاصل، أمّا الدرويش فللمعاني في كتابه مجال خاص أسماه **اللغة**، ومن النماذج على ذلك شرحه لقوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية:117]، قائلا:«تلقف مضارع لقف كعَلِم يعلَم يقال: لقفت الشيء ألقفه لقفا وتلقفته تلقفا، إذا أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته، ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد، يأفكون الإفك في الأصل قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب أفّاك؛ في أنّه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل»[3] ،وممّا لا شكّ فيه أنّ للمعاني دورا كبيرا في الإعراب لذلك عمد الدرويش إلى جعلها أول مبدوء به –كما أشرنا سابقا–

ج– اللغات والقراءات:

[1] المصدر نفسه، ص1089.

[2] النّحاس:إعراب القرآن، ص 1102.

[3] محي الدين الدرويش:إعراب القرآن وبيانه، ج3، ص 22.

لقد شغلت اللهجات والقراءات القرآنية حيّزا واسعا من كتاب النحّاس، وشكلت جزءا كبيرا من مادته، والبداية ستكون مع اللهجات والقبائل، التي كان النحّاس كثيرا ما يورد أسماء القبائل ويتحدث عن لهجاتها، فينسب هذا الاستعمال اللغوي لهذه القبيلة أو تلك فقد تحدث كثيرا عن نسبة الألفاظ والعبارات والعديد من الاستعمالات اللغوية إلى القبائل خاصة عندما يذكر الفروق الأدائية للفظة الواحدة، فيقول أنّ هذا الاستعمال يعود للقبيلة الفلانية، وهذه لغة بني فلان وأكثر ما برزت هذه النسبة في النواحي الصرفية عندما كان يعرض لاشتقاقات الكلمة، وكذلك عندما يتحدث عن بعض القراءات التي هي في الأصل لغات قبائل قبل نزول الوحي على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سنفصله فيما سنتناوله من قراءات.

ومن النماذج التي ساقها النحاس وهو ينسب بعض اللهجات قوله في لفظة ربّما من السورة.﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿2﴾ ﴾[سورة الحجر، الآية:02]...«التخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقيل لغة تميم وقيس وبكر»[1].

أمّا مصنف الدرويش فإنّه لم يكن يعنى بمسألة اللهجات ولا يتحدث عن اللغات والقبائل، حتى لو أورد الأوجه الأدائية للفظة الواحدة أو استعمالاتها الاشتقاقية المختلفة، وذلك لأنّ مادته لم تكن قائمة على التوسع في هذه الأمور، وغالبا ما يعطي القارئ جزءا من المعلومة، ثمّ يحيله إلى المطولات التي عنيت بالحديث عن هذه المسألة، ولعلّ ما جعل الدرويش يحيد عن إدراج اللهجات المختلفة في كتابه (إعراب القرآن وبيانه) أنّها تعدّ من الموضوعات الهامشية في علاقتها بالإعراب في العصر الحديث وعلى من أراد معرفة اللهجات العودة إلى المعاجم والمصنفات القديمة فإنّ فيها ما يثري شغف القارئ وينمّي عقله.

ولأنّ للقراءات القرآنية علاقة وطيدة بالدرس النحوي فقد اعتنى بها النحّاس عناية كبيرة وقام بتوجيهها نحويا ولغويا وذكر عللها وأقوال النحاة ومواقفهم منها، عاكسا بذلك ملامح ثقافته في هذا المجال أيضا، بعد أن أثبت جدارته كلُغَوي ونحوي «فقد حشد كثيرا من الآراء والقضايا الإعرابي والقراءات طلبا لإحاطة القارئ بكلّ المعلومات التي تعينه على هذا الفهم الواضح »[2]حتّى أنّه كان يستغرق في شرح القراءة الواحدة الصفحة

[1] النحّاس: إعراب القرآن،ص 485.

[2] مي فاضل الجبوري:إعراب القرآن دراسة منهجية في التأليف حتى نهاية القرن السادس، ص22.

والصفحتين، مستعينا بآراء من سبقوه وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بالقراءات القرآنية وتوجيهها كانت من المواضيع التي نالت قسطا وافرا من العناية والبحث والتقصي، قبل زمن النحّاس وامتدّ الأمر على الفترة التي وجد فيها فكان أن حفل –اقتداءا بسابقيه– بالقراءات القرآنية وجعلها ركنا أساسا من الركائز التي قام عليها مصنفه، ففي كثير من المواقع نلمح استئناسا مبالغا فيه بالقراءات القرآنية واستغراق كلّ الأوجه التي قُرئ بها اللفظ الواحد، فيستعرضها النحّاس جميعا وقد يعلّق عليها لكنّه في كثيرا من الأحيان يكتفي بإيرادها كما أتى بها القرّاء، وكأنّه يريد أن يجعل مصنفه موردا لكلّ علم.

ومن الأمثلة التوضيحية في هذا الشأن عرضه لمختلف القراءات التي قرأت بها لفظة الأرحام في قوله تعالى:﴿ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء، الآية:01] فبعد أن أعرب الأرحام على أنّها «عطف أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها»[1]استطرد في عرض القراءات القرآنية المختلفة قائلا: « وقرأ إبراهيم وقتادة وحمزة بالخفض وقد تكّلم النحويون في ذلك؛ فأمّا البصريون فقال رؤساؤهم هو لحن لا تحلّ القراءة به، وأمّا الكوفيون فقالوا هو قبيح ولم يزيدوا على هذا، ولم يذكروا علة قبحه فيما علمته(...) وقال بعضهم والأرحامَ قسمٌ وهذا خطأ من المعنى والإعراب »[2]، ومن القول يمكن تأكيد أوّلا أنّ النحّاس إنّما أعراب الأرحام عطفا على الله التي قبلها فهو إذن يتبنى قراءة النصب والأمر الثاني أنّه عرض قراءة الجرّ، ثمّ عرض بعد ذلك موقف علماء الكوفة والبصرة المتمثل في رفض هذه القراءة وهذا إشارة منه إلى أنّه لا يستحبّ قراءة الجرّ.

ونترك هذه القراءة وننتقل إلى إحدى الآيات التي شغلت أذهان المعربين واختلف في أدائها المقرئون وهي آية ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[سورة طه، الآية:63]هذه الآية قرأت على ستة أوجه عرض لها النحّاس جميعا بقوله فيها:«ستّ قراءات قرأ المدنيون والكوفيون إنّ هذان لساحران، وقرأ أبو عمرو إنّ هذين لساحران(...)، وقرأ الزهري وإسماعيل بن قسطنطين والخليل بن أحمد وعاصم **إن هذان لساحران** بتخفيف إن (...) وروي عن عبد الله بن مسعود إن هذان إلاّ ساحران، وقال الكسائي في قراءة عبد الله **إنّ هذان ساحران**

[1]النحّاس : إعراب القرآن،ص 169.
[2]المصدر نفسه، ص169.

بغير لام، وقال الفرّاء في حرف أبيّ إنّ ذان إلاّ ساحران »[1]، ثمّ زاد توضيحا فذكر ستة أوجه للقراءة الأولى فقط ليتوصل إلى إعطاء رأيه في الأخير من أنّ هذان لساحران هي قراءة بني بلحارث بن كعب، فالنحّاس إذنلا يترك وجها قرائيا إلاّ ذكره، حتّى لو لم يوجّهه إعرابيا.

ونترك الآن أبا جعفر وكتابه لنلتفت إلى الطرف الثاني من هذه المقارنة وهو الدرويش، فكتابه كتاب إعراب وبيان ولا يتعرض للقراءة القرآنية كما فعل النحّاس، وكلّ أعاريبه التي ارتآها تنزع نحو السهولة والعموم وتبتعد عن التخصيص الذي قد ينتج عن إيراد القراءات المتباينة من حيث حركتها الإعرابية، و حتّى تلك الآيات التي دار حولها نقاش طويل نتيجة تعدد قراءاتها فضّل الدرويش ألاّ يخوض في معترك هذا النقاش لأنّ ميدان كتب القراءات، ولا داعي لإعادته لأنّه سيكون مجرّد تكرار لما قيل وتحصيلا حاصلا لا أكثر، ومن النماذج التي خاض النحّاس في قراءتها وأعرب الدرويش قراءة واحدة دون الإشارة إلى من قرأ بها إعرابه لآية إنّ هذان لساحران، ففي حين تطرق النحّاس إلى قراءاتها المختلفة، ثمّ تبنى القراءة التي تقضي بأن تكون إنَّ مشددة، أورد الدرويش احتمالا واحدا وهو الذي أعربه بقوله:« إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم إشارة للمثنّى في محل رفع مبتدأ واللام الفارقة وساحران خبر المبتدأ»[2]، فهذا الإعراب الذي ارتآه الدرويش تبنّى فيه القراءة التي جعلت أن مخففة ليبطل عملها، وبالتالي يكون ما بعدها مبتدأ وخبر، إضافة إلى الآية السابقة نورد آية أخرى أعربها الدرويش دون الخوض في قراءاتها ألا وهي الآية الأولى من سورة النساء، وهو الإعراب نفسه الذي ارتآه النحّاس باستثناء هذا الأخير تحدث بعد عرض رأيه عن قراءات الآية بينما لم يفعل الدرويش ذلك واكتفى بالقول:«الأرحامَ عطف على الله، وفي هذا العطف تنويه بمنزلة القرابة ووجوب البرّ بها ومراعاتها »[3] فهذا الإعراب المتداول بين عامة النحاة المحدثين، أمّا الاستثناءات التي تحدث عنها النحويين بالاستفادة من درس القراءات فلا يعنى منها الدرويش بشيء والدليل على ذلك أنّه لم يوردها ولو إلماح قصير، رغم أنّ الآيات السابقة آيات مشكلة بين النحاة والقرّاء.

[1] المصدر نفسه، ص 585.

[2] محي الدين الدرويش:إعراب القرآن وبيانه،ج4، 293.

[3] المصدر نفسه،ج2، ص 608.

ورغم ذلك فهذا لا يمنع من وجود مقتطفات قليلة في كتاب الدرويش، عرض فيها لإعراب بعض الأوجه القرائية على أنّه لم يشر إلى أسماء أصحابها من القرّاء ولم يطل فيها، وكذلك «درج على عدم الإشارة إلى قراءة ما إلاّ إذا كانت تنطوي على بحث مهم »[1]ومن المواضيع القليلة التي أورد فيها القراءة ما قام به في إعرابه لحمّالةَ من قوله تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥۚ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[سورة المسد، الآية: 04] حيث قال:«حمّالة الحطب قرئ بالنصب على الشتم وقُرئ بالرفع على النعت لامرأته، أو على أنّها بدلٌ أو على أنّها خبر لمبتدأ محذوف »[2] .

وبما أنّ الدرويش لم يتعرض لدرس القراءات إلاّ فيما ندر، وحتّى عندما يتعرض لها فإنّه لا يقف عندها مطولا، يمكن القول كخلاصة أنّ هدفه من ذلك تقديم إعراب بسيط سهل يكون في متناول المبتدأ، وعونا للطموح على حدّ السواء وليس همّه التأريخ للقراءات ولا الإشارة إلى علاقتها بالإعراب لأنّ هذا موضوع مستهلك، وليس الأمر كذلك للنحّاس لأنّ قضية الاحتجاج للقراءات ضمن كتب الإعراب أيّامه كانت من أبرز موضوعات الجدل آنذاك، وكان التأليف لا يزال ساريا.

لم يقتصر كتاب النحاس في ما حواه من المباحث وصنوف العلوم على ما ذكرنا إذ نجده يضمّ بين تضاعيف كتابه بعض النفحات الشعرية التي يستأنس بها في إثبات رأي أو موقف نحوي معين، كما فعل مع قوله تعالى﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[سورة محمد، الآية: 22] يقول:«**أن** في موضع نصب خبر **عسيتم**وهذه اللغة فصيحة، ومن العرب من يحذف **أن** من الخبر كما قال:

عسى الهمّ الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ومن العرب من يأتي بالاسم في خبرها فينصبه فيقول: عسى زيدٌ قائما»[3] حيث جاء بالبيت الشعري من أجل الاستشهاد على أنّ هذا الأسلوب دارج في لغة العرب، مستعمل فيها، و(**أن**) يمكن أن يكون في خبر عسى بصيغة المصدر المؤول، وتأتي أيضا بدونها، كما يبين البيت الشعري، ونجد الدرويش يشترك مع النحّاس في

[1] الدرويش :إعراب القرآن وبيانه، ج1،ص16 من مقدمة المحقق.
[2] الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج8، ص437.
[3] النحّاس: إعراب القرآن، ص 996.

تضمين كتابه بعض النفحات الشعرية، حاول من خلالها الدرويش أن يثبت صحة قضية نحوية، أو صرفية، أو معنوية،من جهة أو أنّ استعمالها دارج في كلام العرب، أو حتّى لإعطاء مغزى وفائدة ما، كما فعل مع قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[سورة الأنبياء،الآية:35] حيث يقول:«**كُلّ** مبتدأ ،**ونفس** مضاف **وذائقة الموت** خبر، والجملة مستأنفة مسبوقة للتدليل على عدم الخلود، فلا مجال للشماتة، ورحم القائل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا»[1]

بهذا يكون كلّ من الكتابين قد اجتبى من الأبيات الشعرية ما يؤيد رأيه في قضية نحوية، أو صرفية أو لغوية، أو حتّى لفائدة وعبرة، وكأنهما من خلال الإتيان بالشاهد الشعري يريدان أن يثبتا أنّ هذا التركيب أ ذاك الإعراب دارج الاستعمال عند العرب خاصة وأنّ الشعر ديوان العرب.

وهكذا يمكن القول إنّ الكتب التي ألفت في إعراب القرآن والكتابان محلّ الدراسة خاصة مهما اتفقت في الموضوع الذي تعالجه، فإنّها تختلف حتما في العديد من النقاط، ولا يعنى هذا أن ننفي عنها بعض ملامح الشبه، وهذه سنة التأليف منذ القديم وإلى غاية اليوم، وهذا راجع إلى تراكمية العلم من جهة و واعتراء النقص للجهود البشرية، فيسعى كلّ مؤلف إلى الاستفادة ممّن سبقه وتكملة جهوده.

[1] الدرويش إعراب القرآن وبيانه، ج 5، ص 29.

الخاتمة

الخاتمة

خلاصة القول بعد هذا المسار الذي قضيناه منتقلين في رحاب القرآن وإعرابه، نستوضح آراء العلماء ونقتبس مواقفهم، ونورد من تعريفاتهم وأقوالهم ما يناسب المقام، ويعزّز موقفنا ويقوّيه، بعد كلّ هذا توصلنا إلى النتائج الآتية:

-يختلف مفهوم الإعراب عند القدماء عن مفهومه عند المحدثين، في كونه يحمل طابع الشمول والاتساع عند القدماء؛ نظرا لموسوعية العلماء آنذاك، وكذلك لأنّ مفهومه كان يقترب من المعنى اللغوي الذي هو الإفصاح والإبانة، وهذا ما جعل المعرب يدرج ضمن الإعراب علوما أخرى مثل ما يمكن أن نسميه بالصوتيات، والبلاغة، واللغة والصرف والإعراب، وذلك لأنّها جميعا تحقق غرضه من البيان والإفصاح.

-أمّا الإعراب حديثا فقد ضاقت دائرته شيئا فشيئا حتّى صارت مجرد رصد لتغيّر أواخر الكلم، تبعا للعوامل الداخلة عليه، وبالتالي حمل الإعراب على معناه الضيّق، مبتعدا بذلك عن المعنى اللغوي الواسع، ومنفصلا عن التصريف، وعن شتّى العلوم التي كانت متداخلة معه في الماضي.

-اختلف مدلول إعراب القرآن عبرالأزمان، ففي القديم كان يحمل معنى الإبانة عن معانيه، وشرح ألفاظه وغريبه، وهذا المفهوم يستند على المعنى اللغوي للإعراب، الذي هو الإبانة والإفصاح، ومع مرور الوقت تغير مفهوم الإعراب، وتغيّرت معه دلالة إعراب القرآن الكريم، وصار معربوه يتتبعون آياته قائلين هذا فِعلٌ وذاك فاعلٌ والأخر مفعولٌ، وبهذا انتقل مفهوم إعراب القرآن من معناه اللغويإلى المعنى الاصطلاحي، فتضييق دائرة الإعراب، جعل مفهوم إعراب القرآن يضيق إلى حدّ كبير في العصر الحديث.

-والعرب القدماء هم أمة فصاحة وبيان، لذلك لم يعجزوا عن استيعاب القرآن وتمثّل معانيه، والإبانة عن مدلولاته، بقراءته قراءة صحيحة، ولكن بعد انتشار الفتوح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، لا سيّما غير العرب، صار تحقيق مطلب الإفصاح والإبانة أمرا صعبا، على أشخاص ترعرعوا في بيئات كلامية تختلف عن بيئة العرب، فأدى ذلك الجهل إلى الوقوع في اللحن الذي عدّ خطرا يهدد القرآن الكريم كنص مقدس، ممّا عجّل بميلاد علوم لغوية شتّى، كان النحو والإعراب أسبقها، ذلك أنّ اللحن إنّما وقع أولا في أواخر الكلم، فالنحوإ

نشأ بداية ما نشأ لخدمة القرآن الكريم، والوقوف على معانيه ومقاصده، والرغبة الناتجة عن الخوف عليه من التحريف، في وضع قواعد تصون اللسان والقلم معا، وتبصّر غير العرب بأسرار اللغة التي نزل بها القرآن.

-وقد حاول العديد من المستشرقين، أمثال كاله و فوللرز، الطعن في القرآن الكريم من خلال نفي أبرز سماته الممثلة في الإعراب، وكان ذلك نتيجة الفهم الخاطئ للأحاديث التي رويت عن الرسول في الحث على إعراب القرآن، ونسوا أنّ هذه الأحاديث إنّما تشير إلى الطابع الشمولي الذي يتسم به الإعراب، ومفادها الحقيقي هو الإبانة عن معاني القرآن وأداؤه أداء صحيحا لا ينافي الصواب.

-وكانت أول خطوة من أجل ذلك هي نقط المصحف الشريف على يد أبي الأسود الدؤلي نقط إعراب، فكانت بداية هذا الفنّ بسيطة، ثمّ سرعان ما نشط التفكير النحوي مستعينا في ذلك بآيات الذكر الحكيم، لإثبات صحة القواعد الموضوعة، حيث كان القرآن في المرحلة الشاهد الأول.

-ويعدّ كتاب سيبويه أنضج محاولة للاستئناس بالقرآن الكريم وكانت هذه هي المرحلة الثانية التي مرّ بها إعراب القرآن، وتلتها مرحلة أخرى نشط فيها ما عرف بالتأليف في معاني القرآن، والكتب التي تنتمي إلى هذا النوع من التأليف وضعت في الأساس لتغطي المباحث اللغوية لا سيما التصريف والمعاني لكنّها اشتملت على جانب كبير من إعراب القرآن، ممّا جعل المختصين يصنفونها ضمن كتب إعراب القرآن، وبعد هذه المرحلة بدأ إعراب القرآن يخطو نحو التخصص والاستقلالية.

-وقد وضع العلماء شروطا لمن يتصدى لإعراب القرآن، حتّى يخرج إعرابه في ثوب قشيب وحلة بهية تتناسب ومقام الكتاب المعرب، ولا يخرج المعرب له عن مضمون الآيات القرآنية، وعلى رأسها الوقوف على المعاني القرآنية قبل الإعراب، ذلك لأنّ الإعراب فرع المعنى، إلى جانب هذا ينبغي على معرب القرآن أن يكون على دراية كبيرة باللغة العربية لغة القرآن.

-يرتبط إعراب القرآن ارتباطا وثيقا ببعض العلوم الشرعية كالتفسير الذي يستند على الإعراب من أجل الوصول إلى فهم صحيح، في حين يستطيع الفقيه باستثمار الإعراب في القرآن الكريم أن يصل إلى استنباط أدلة ألأحكام الشرعية، من خلال تحديد إعراب الكلمات في الآية، أما صلته بالقراءات فهي صلة وثيقة باعتبارها المادة الأولى في الدرس النحوي، وكذلك لأنّ اختلاف القراءة قد يؤدي إلى اختلاف الإعراب.

-وقد تنوعت المؤلفات في إعراب القرآن الكريم منذ القديم وحتى اليوم، بين كتب المعاني كمعاني القرآن للأخفش والفرّاء وكتب إعراب القرآن التي سارت نحو التخصص منذ كتاب النحّاس ومن بين هذه المؤلفات (التبيان في إعراب القرآن)، و(مشكل إعراب القرآن) للقيسي، و(الدرّ المصون) للسمين الحلبي...إلخ أمّا حديثا فالمؤلفات في إعراب القرآن كثيرة ومتنوعة، منها: إعراب القرآن للدعّاس والجدول في القرآن وصرفه لمحمود صافي.

هذا عن نتائج الفصل النظري أمّا نتائج الفصل التطبيقي بعد التحليل والمقارنة فهي كالآتي:

-رغم اعتماد كل من الدرويش والنحّاس المنهج التحليلي، إلاّ أن طريقة النحاس في العرض قامت على أساس المزج بين المعاني والإعراب والحديث عن اللغات والقراءات،والغريب، دون الفصل بينها، أو تخصيصها بمباحث مستقلة، في حين عمد الدرويش إلى جعل الإعراب مبحثا مستقلا، منتقيا الأسهل والأبسط، فاصلا في ذلك بين المعاني والشروح التي أدرجها في حقل أسماه اللغة، أمّا الفوائد فكانت لموضوعات متعددة ودون توسع، إلى جانب ذلك إفراده للبلاغة حقلا خاصا بها.

-أمّا من حيث المصطلحات المعبّر بها في الكتابين فكانت عند النحّاس مزيجا بين البصرية والكوفية، وذلك راجع إلى تبنيه المذهب البغدادي الذي يجمع بين المدرستين، في حين كانت مصطلحات الدرويش بصرية محضة، وذلك راجع إلى هيمنة المصطلح البصري في العصر الحديث.

-أمّا مادة الكتابين فكانت عند النحّاس مزيجا بين الأخذ عن شيوخه، والنقل عن كتبهم سواء في ذلك البصرية والكوفية، كما جاء كتابه حافلا بالحديث عن القراءات وتوجيهها معزوة إلى أصحابها، وكما استأنس بمختلف اللغات ولهجات القبائل في التعليل للقضايا الإعرابية والقرائية وحتّى المعنوية، في حين أغفل الدرويش ذلك مقتصرا على قراءة واحدة، دون تفصيل في باقي القراءات إلاّ فيما ندر.

-إذا كان النحّاس قد عمد إلى حشد الأوجه الإعرابية للفظة الواحدة بالتفصيل، فإنّ الدرويش قد أحجم عن ذكرها منتقيا منها ما كان أقربها وأبسطها بإيجاز.

-و رغم هذا الاختلاف الواضح بين الكتابين محلّ المقارنة لكنّ هذا لا يمنع من وجود نقاط التقاء بينهما وممثّلة في:

– توافق الكتابان في استيعاب كلّ سور القرآن الكريم وإعرابها مرتبة حسب ورودها في المصحف،كما يعدّ المنهج التحليلي في الإعراب قاسما مشتركا بينهما.

–إنّ المتأمل في طريقة الكتابين في تناولهما للإعراب يلحظ بعض التشابه متمثلا في : أنهما لا يكرران الآيات التي سبق وأن أعرباها حين تتكرّر في السور والمواضع المتأخرة.

–اعتمادهما على آيات من سور أخرى لتعليل الوجه الإعرابي الذي هما بصدد الإبانة عنه.

–اشتراكهما في الاستشهاد بالشعر في الكتابين رغم اختلاف مقاصدهما منه.

–حضور التعليل في كلا الكتابين مع تفاوت في نسبة اعتمده بين المؤلفين فإذا كان النحّاس موغلا فيه، فإنّ الدرويش قد اكتفى بتعليل ما استصعب على فهمه على سبيل التبسيط.

والحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه، وصلّ اللهم وسلم على نبينا و شفيعنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أوّلا:المعاجم:

1) مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط،مكتبة الشروق، القاهرة ،ط07 ،2011م.

2) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي : لسان العرب، دار صادر،بيروت ، د ط، د تا.

ثانيا:الكتب:

3) إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط06 ، 1978م.

4) إبراهيم رفيدة : النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية ، بنغازي ، ط 3 ، 1990م.

5) إبراهيم مصطفى :إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2014م.

6) أبو حيّان محمد بن يوسف الشهيد الأندلسي:تفسير البحر المحيط ،تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1، 1993م.

7) أحمد بن محمد الخراط: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، دط، د تا.

8) أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1994م

9) الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة:معاني القرآن،تح: هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1، 1990م

10) الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن :الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، تح: عبد الرّزاق السعدي،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الكويت ، ط1 ، 1984م

11) الأصفهاني أبو القاسم الحسين :مفردات ألفاظ القرآن، تح :صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 2009م.

12) الألباني محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها على الأمة ، مكتبة المعارف ، الرياض، ط 1، 1993.

13) الكفوي أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح :عدنان درويش و محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط 2، 1998م

14) ابن الأنباري أبو البركات كمال الدين: البيان في إعراب غريب القرآن، تح : طه عبد الحميد طه ،مصطفى السقا ، الهيئة المصرية للعامة للكتاب ، مصر ، 1980 م

15) ابن الأنباري أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح:جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م

16) الأنباري أبو بكر محمد: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ، تح :محي الدين عبد الرحمان رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دط ،1971م ، ص 22 .

17) تمّام حسّان: اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط ، 1994م.

18) ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان.

19) ابن جنّي أبو الفتح عثمان: الخصائص،تح محمد علي النجّار،المكتبة العلمية، مصر، دط، دتا.

20) حدوارة عمر: المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، قسم اللغة العربية وآدابها، 2004م

21) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي :الإحكام في أصول الأحكام ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الأفاق الجديدة ،بيروت ، ط2، 1983م.

22) ابن حزم الأندلسي : مراتب العلوم ، تح : إحسان عبّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1983 م

23) أبو الحسن العروضي (أحمد بن محمد): الجامع في العروض والقوافي، تح: زهير غازي زاهد، هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م.

24) الحصري محمود خليل : أحكام قراءة القرآن الكريم ، المكتبة المكية ودار البشائر الإسلامية ، ط04 ، 1999م.

25) حفني ناصف :حياة اللغة العربية، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ،ط 1، 2002 م،

26) الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن ا: المنهاج في شعب الإيمان ، تح : حلمي محمد فودة ، دار الفكر،بيروت، لبنان ، ط 1، 1979م

27) ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة ، تح عبد الله محمد درويش، دار البلخي، دمشق، ط 1، 2004م.

28) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ا البرمكي: وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تح: إحسان عباس ،دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.

29) دخيل عبد الله الدّخيل : إقراء القرآن منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه ،مركز الدراسات والمعلومات القرآنية ، الرياض، ط1، 2008 م.

30) الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 09، 1973م.

31) رمضان عبد التوّاب : فصول في فقه اللغة العربية ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط06 ، 1999م.

32) الزجاجي :الإيضاح في علل النحو ،تح مازن المبارك ،دار النفائس ،بيروت ،ط03 ،1989م.

33) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله:البرهان في علوم القرآن،تح: أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،بيروت، ط1، 1957م

34) الزمخشري أبو القاسم محمود : الأنموذج في النحو ، د دار النشر ، ط01 ، 1999 م.

35) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م

36) السمين الحلبي أبو العبّاس أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق.

37) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان:الكتاب ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط03 ،1977م.

38) السيوطي جلال الدين :الأشباه والنظائر في النحو ، تح : عبد الإله نبهان ،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، دط ،1987.

39) السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة،1974م.

40) شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة، ط 7، مصر، دتا.

41) صبحي الصالح:دراسات في فقه اللغة ، دار العلم الملايين ، بيروت ، ط1، 1960م.

42) الصّيمري : التبصرة والتذكرة في النحو ، تح: فتحي مصطفى علي ، دار الفكر ، دمشق ،ط01، 1982م.

43) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير :جامع البيان عن تأويل آي القرآن تح: بشار عواد معروف ،مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ط1،1994م.

44) عبد الحليم قابة :القراءات القرآنية ، تاريخها ، ثبوتها ، حجيتها ، وأحكامها ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1999م.

45) عبد الحيّ حسين الفرماوي:رسم المصحف ونقطه، دار نور المكتبات، السعودية ، ط 1، 2004.

46) عبد الرحمان خلاّف: علم أصول الفقه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، ط08 ، 1942م

47) عبد العال سالم مكرم : القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط 2، 1978.

48) ابن عطّية أبو عبد الحق القاضي الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1، 2001 م.

49) العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين :التبيان في إعراب القرآن ، علي محمد البجاوي ،عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر، ط1، 1986م.

50) العكبري أبو البقاء: إعراب القراءات الشواذ ،تح : محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، لبنان ، ط1، 1996م

51) علي أبو المكارم : مدخل إلى تاريخ النحو ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2007 م

52) علي النجدي ناصف: تاريخ النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978 م

53) علي شوّاخ إسحاق:معجم مصنفات علوم القرآن ،دار الرفاعي ، الرياض ، ط1، 1983م

54) عمار الددو:البحث الدلالي في كتب معاني القرآن، عالم الكتاب الحديث،الأردن ،ط1،2010م

55) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ا :الرسالة اللدنية ،مطبعة كردستان العلمية ، مصر ، ط2، 1328هـ.

56) الغزالي أبو حامد: المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية ، المدينة المنورة ، دط ، دتا.

57) فتحي عبد الفتّاح الدجيني : أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1، 1974.

58) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.

59) القرطبي أبو عبد الرحمان محمد بن أحمد بن أبي،الجامع لأحكام القرآن المبيّن لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت– لبنان ، ط1، 2006 م

60) القفطي أبو الحسن جمال الدين علي:إنباه الروّاة على أنباه النحاة ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر ، القاهرة ، ط 1، 1986م.

61) القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تح :حاتم صالح الضامن،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984م.

62) ابن مجاهد: السبعة في القراءات ، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، دتا .

63) محمد إبراهيم الحمد : فقه اللغة مفهومه موضوعه قضاياه ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط 01، 2005م

64) محمد بن عبد الله الحمد السيف : الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن ،دار التدمرية،المملكة العربية السعودية، ط1، 2008 م

65) محمد حسين حسن جبل : دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن واللغة العربية، البربري للطباعة ، مصر، 2000 م

66) محمد عبد الخالق عضيمة :دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ،القاهرة 1972 ،

67) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة ،عالم الكتب ،القاهرة، ط3، 1988م ، ص 200.

68) محمود صافي الدرّة : الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، دار الرشيد ، دمشق ، ط3، 1995م.مساعد بن سليمان الطيّار : التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط1 ، ص 259

69) مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين ،دار الهجرة ، إيران ، ط2، 1405هـ

70) مصطفى ديب البغا ،محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن ، دار العلوم الإسلامية ، دمشق ، ط2، 1998م.

71) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، دط 1995م.

72) المناوي عبد الرؤوف: فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1972م.

73) المنتجب الهمذاني: الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تح : محمد نظام الدين الفتيّح ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط 1، 2006 ، ج 1.

74) مي فاضل الجبوري ، إعراب القرآن الكريم دراسة في منهجية التأليف حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1، 2001

75) النّحاس أبو جعفر أحمد بن إسماعيل : إعراب القرآن الكريم ، تح : خالد العلي،دار المعرفة ، لبنان ، ط2، 2008م

76) النحّاس أبو جعفر أحمد بن محمد :شرح القصائد التسع المشهورات، تح: أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1973م.

77) ابن النديم أبو الفرج إسحاق الورّاق : الفهرست تح : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، لبنان، ط 1، 1997 م.

78) هانيء الفرنواني : في أصول إعراب القرآن الكريم ، دار الوفاء ،بيروت ،ط1، 2006 م

79) يحي بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 2002 م19.

80) يوسف بن خلف العيساوي: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان،دارالصيمعي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2007م.

ثالثا: المجلات والدّوريّات:

81) مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ع 38، المملكة العربية السعودية، رمضان 1427هـ.

82) مجلة البحوث والدراسات القرآنية، حلب سوريا، العدد 09.

83) مجلة جامعة الإمام المهدي، كلية الآداب،قسم اللغة العربية، جامعة الإمام المهدي ، السودان ع 3، 2015م.

رابعا: المذكرات والرسائل الجامعية:

84) إبراهيم بن حسين بن علي صنبع : أثر المعنى في تعدد وجوه الإعراب في كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، قسم الدراسات العليا العربية ،كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1999م.

85) أحمد الشايب عرباوي :أصول اللغة والنحو بين الأخفش والفرّاء رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2014/2013م.

86) باسل عمر مصطفى المجايدة ، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، قسم التفسير وعلوم الدين ،كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2009م.

87) طلحة آدم أحمد صالح:مآخذ أبي جعفر النحّاس النحوية في كتابه إعراب القرآن على أبي زكريا الفرّاء في كتابه معاني القرآن ، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير في الآداب في اللغة العربية ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2010م.

88) لعميري لجميدي :التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية من خلال كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس مذكرة مقدمة لنبل شهادة الماجستير في علوم اللسان ، قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، 2010/ 2011م.

89) هديل محمد عطية،يوسف المينراوي: أثر اختلاف الإعراب في تفسير المعنى دراسة تطبيقية رسالة مقدمة لاستكمال لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، قسم التفسير وعلوم القرآن ،كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.

خامسا: المحاضرات:

90) نبيهة بنت عبد الله باخشيون: إعراب القرآن، قسم اللغة والنحو والصرف، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

فهرس الآياتِ القرْآنيّةِ

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
الفاتحة	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	01	93
البقرة	﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾	02	93
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	06	99
	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	07	81 84
	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾	13	84
	﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾	25	47
	﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	32	100
	﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	71	100
	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ﴾	114	94
	﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾	124	22

	﴿ وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾	125	38
	﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾	133	22
البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	172	82
	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	173	85
	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾	185	82
	﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾	282	100
النساء	﴿ وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	01	108
	﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾	86	95
المائدة	﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	71	103
الأنعام	﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾	143	104
	﴿ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾	150	99
	﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا	117	106

	﴿ يَافِكُونَ ﴾		
الأعراف	﴿ الٓمٓصٓ ﴾	01	100
	﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾	193	30
التوبة	﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾	03	18 26
يوسف	﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	12	94
	﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	19	95
	﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	91	95
الحجر	﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾	02	107
	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	09	02
الكهف	﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾	12	39
	﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴾	73	86
طه	﴿ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾	02	102
	﴿ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾	21	101
	﴿ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴾	58	105
	﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾	63	63
	﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾	88	81
الشعراء	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾	195	22

العنكبوت	﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾	63	102
الروم	﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾	36	29
سبأ	﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾	19	49
الزمر	﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾	28	22
فصلت	﴿ حمٓ ﴾	01	89
	﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾	42	28
يونس	﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ ﴾	15	103
الدخان	﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾	01	89
الحجرات	﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	09	95
النجم	﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾	51	36 37
الواقعة	﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾	25	106
الحديد	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	01	106
الصّف	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	08	103
القلم	﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾	01	89
المعارج	﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾	01	88
القيامة	﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥۖ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾	17-16	10
الإنسان	﴿ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴾	18	39
التكوير	﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾	01	89

الطارق	﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾	9-8	41
الشرح	﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾	01	88
الإخلاص	﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾	02	111

فهرسُ المَوضوعاتِ

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ-و

مدخل.....01

أولا: الإعراب:.....03

1- مفهوم الإعراب عند النحاة القدامى.....03-06

2- مفهوم الإعراب عند العرب المحدثين.....06- 09

3- مفهوم الإعراب عند الأصوليين.....09-10

ثانيا:مفهوم القرآن.....10-11

ثالثا: إعراب القرآن.....12-15

الفصل الأول: إعراب القرآن: أصالته ونشأته ونشاط التأليف فيه.....15

المبحث الأول :إعراب القرآن أصالته ونشأته:.....17

المطلب الأول : الحاجة إلى علم النحو.....17-20

المطلب الثاني: أصالة الإعراب في القرآن الكريم.....20-24

المطلب الثالث: نشأة إعراب القرآن وتطوره.....25

-أطوار إعراب القرآن.....25

الطور الأوّل: نقط المصحف الشريف.....25-28

الطور الثاني: إعراب القرآن والدرس النحوي.....28-30

الطور الثالث: كتب معاني القرآن وإعراب القرآن.....30-34

الطور الرابع: إعراب القرآن فنّ مستقل.....34-35

المطلب الرابع: ضوابط إعراب القرآن.....35-41

المبحث الثاني: أهمية إعراب القرآن وصلته ببعض العلوم الشرعية.....41

أولا: أهمية إعراب القرآن.....41-42

فوائد إعراب القرآن.....42-44

ثانيا: صلة إعراب القرآن ببعض العلوم الشرعية.....46

1-صلة إعراب القرآن بعلم التفسير.....46-49

2- صلة إعراب القرآن بعلم القراءات القرآنية.....49-52

3- صلة إعراب القرآن بعلم الفقه وأصوله.....52-54

ثالثا: أسباب اختلاف إعراب ألفاظ القرآن الكريم 54-56

المبحث الثالث:المؤلفات في إعراب القرآن.....**54**

- : كتب معاني القرآن.....54-55
- كتب إعراب القرآن المتخصّصة قديما.....55-57
- الكتب المؤلفة في إعراب بعض سور القرآن.....56
- كتب التفسير المستأنسة لإعراب.....56- 57
- كتب الاحتجاج للقراءات.....57
- كتب إعراب القرآن الحديثة.....57-58

- معاني القرآن للفرّاء.....58-59
- التبيان في إعراب القرآن العكبري.....59-60
- البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري.....60-62
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.....62-63
- مشكل إعراب القرآن لمكّي القيسي.....63-65
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صافي.....65-66

الفصل الثاني :دراسة مقارنة بين إعراب القرآن للنحّاس وإعراب القرآن وبيانه.....67

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّفَيْنِ وكتَابَيْهِمَا.....68

أوّلا: التعريف بأبي جعفر النحّاس.....68

1-مولده ونشأته 69-70

2- مذهبه النحوي.....70-71

3- نتاجه العلمي.....71-72

ثانيا: وصف عام لكتاب إعراب القرآن للنحّاس.....73-74

ثالثا: التعريف بمحي الدين الدرويش.....74-75

نتاجه العلمي.....75

رابعا: وصف عام كتاب إعراب القرآن وبيانه للدرويش.....76-77

المبحث الثاني: كتاب إعراب القرآن للنحّاس وإعراب القرآن وبيانه للدرويش دراسة مقارنة ....

أوّلا: من حيث المنهج..... 80

طريقة العرض في الكتابين.....84-86

ثانيا: من حيث المصطلح.....88

1-أسماء السّور في كتاب أبي جعفر النّحّاس 89-92

2- المصطلح النحوي 93-100

ثالثا: من حيث المادة.....100

1-مصادر الكتابين.....101-106

2- المباحث العلمية 106

أ-المبحث الإعرابي.....106-109

ب- المبحث الصرفي.....109-114

ج- القراءات واللغات.....114-115

الخاتمة 116-120

قائمة المصادر والمراجع.....121-129

فهرس الآيات القرآنية 130-135

فهرس الموضوعات.....135-140